البلاد

مجلة البلاد الإلكترونية

تصدر أسبوعياً عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان

العدد 553 التاريخ: 25-07-2026

صدى البلاد .. على مدى البلاد

تجمع العلماء المسلمين:

"ترامب وجه إهانة ما كان يجوز لرئيس السلطة السكوت عنها وهي أن تقوم الدولة السورية بالتدخل في لبنان للقضاء على حزب لبناني عريق كان له شرف تحرير لبنان فأين هي السيادة والكرامة الوطنية؟!!!".

تقرأون في العدد أيضاً:

مكابرة عون ستدفع الشارع إلى الانقسام والقضاء يصدر مذكرة لاستباحة القرى

إيران ترفع كلفة المواجهة.. الخسائر الأمريكية تتعاظم

أزمة هرمز: الاستراتيجية الأمريكية، معضلات ترامب وتداعياتها على إسرائيل

البلاد

مجلة البلاد الإلكترونية

تصدر أسبوعياً عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان

سياسية - ثقافية - دينية - إجتماعية

المدير العام
الشيخ محمد عمرو

رئيس التحرير
غسان عبد الله

الإخراج الفني
الشيخ محمد اللبابيدي

التصميم والإعداد
الفريق الفني في تجمع
العلماء المسلمين في لبنان

لبنان - بيروت - حارة حريك
مبنى تجمع العلماء المسلمين

0096170917873

info@albylad.com

www.albylad.com

مكابرة عون ستدفع الشارع إلى الانقسام

والقضاء يصدر مذكرة لاستباحة القرى

بقلم: محمد الضيقة

"على الرغم من فضيحة الاستقبال لرئيس الجمهورية جوزاف عون في واشنطن حيث تم التعاطي معه بطريقة لا تليق بموقعه الرسمي. هذا كان بداية، أما عن سلسلة اللقاءات التي عقدها مع المسؤولين الأمريكيين، فإنها لم تُنتج شيئاً فعلياً لا على صعيد وقف إطلاق النار تثبيته أو على صعيد جدولة انسحاب قوات الاحتلال. وباستثناء فضيحة الانتشار في قرى لم تكن محتلة، فإن السلطة اللبنانية تأمرها واشنطن وهي تنفذ."

أوساط سياسية متابعة أشارت إلى أن هناك أكثر من سيناريو ينتظر الجنوب وأبرزها - تقول الأوساط - هو أن العدو قد ينسحب في مرحلة لاحقة من بعض المناطق غير ذات أهمية بالنسبة له، والتمسك بالحزام الأمني بطريقة دائمة خصوصاً أن الذريعة الصهيونية جاهزة. حيث من المؤكد أنه سيربط انسحابه بتجريد المقاومة من سلاحها، عندئذٍ يصبح الحزام الأمني شبيهاً لما كان قبل عام 2000، حيث من المؤكد أن العدو سيعمل على تحصين مواقفه ويفتح طرقات تربطها بعضها ببعض، وقد يتحول هذا الحزام حسب هذه الأوساط إلى أمر واقع سيمنع من عودة الجنوبيين إلى قراهم أو إعادة الإعمار.

وأشارت الأوساط إلى أن السبيل الوحيد لإجهاض هذا السيناريو هو تمسك المقاومة بسلاحها والانتظار والترقب لما قد يحصل في الإقليم من تطورات قد تسمح لها باستئناف عملياتها ضد قوات الاحتلال.

إلا أن الأخطر في أداء السلطة اللبنانية الضعيفة والعارية والتي لا تملك أي ورقة قوة في مواجهة الضغوط الأمريكية حيث من غير المستبعد - تؤكد الأوساط - أن واشنطن مع بعض حلفائها من العرب وغير العرب استدراج لبنان إلى تحالفات تورطه

وتؤدي به إلى انقسام لبناني داخلي واستدراجه أيضاً للانخراط في حرب إقليمية تدور في الإقليم بين واشنطن وحلفائها ضد إيران ومحور المقاومة.

وتضيف الأوساط أن ما يجري في الإقليم سيخلق توازنات قوى جديدة. وكما يبدو فإن واشنطن تسعى إلى ضم لبنان إلى محورها من دون أن تقدم له شيئاً وهذا ما أكدته نتائج زيارة عون لواشنطن.

إلا أن ما يسمى بالمرحلة التجريبية لن تختبر من قبل الطرفين الصهيوني والأمريكي ميدانياً فقط بل من المتوقع أن تواجه تحديات أمنية معقدة خصوصاً مسألة كيفية تعامل القوى الأمنية مع عناصر حزب الله الذين سيعودون إلى منازلهم داخل ما يسمى منطقة تجريبية، وقد تمتد أيضاً إلى المدنيين الراغبين في الإقامة بهذه القرى. أما المسألة القانونية فقد تم حلها من قبل مدعي عام التمييز في خطوة تشير إلى تنسيق بين السلطة السياسية والقضاء حيث أصدر مذكرة قضائية مفتوحة تسمح للجيش اللبناني استباحة القرى في المنطقة التجريبية والمنازل والأراضي والتفتيش بحثاً عن السلاح وهذه المذكرة لم يحصل للقضاء اللبناني أن أصدرها منذ تأسيس الكيان، وهي خطيرة وقد تكون شرارة لاندلاع حرب أهلية.

نهاية ترامب ونتنياهو

بين الهزيمة العسكرية والسقوط السياسي

بقلم: زينب عدنان زراقط

"إيران تضع يدها حول عنق ترامب السياسي... وقد تهدد مستقبل نتنياهو أيضاً. فبينما تبدو واشنطن وتل أبيب أمام اختبار صعب، تتحرك طهران في مساحة زمنية ترى أنها تخدم مصالحها."

الكرة أصبحت في ملعب إيران، والوقت لم يعد حليفاً للولايات المتحدة وإسرائيل؛ فهذه المرة قد لا تُحسم المعركة في ساحات القتال فقط، بل داخل صناديق الاقتراع أيضاً، حيث قد تكون الانتخابات هي العامل الذي يحدد مسار الحرب ونتائجها السياسية.

التصعيد المُتسارع في المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران، من الضربات العسكرية، واستهداف السفن في مضيق هرمز، والهجمات على القواعد الأمريكية في المنطقة، دفع العديد من وسائل الإعلام إلى تقديم المشهد باعتباره تصعيداً أمريكياً ضد إيران. لكن قراءة مسار الأحداث من زاوية مختلفة تشير إلى أن المواجهة لم تكن مجرد رد أمريكي على تحركات إيرانية، بل كانت مرتبطة بحسابات سياسية وعسكرية أوسع، حيث حاول كل طرف استغلال فترة الهدوء المؤقت لتحقيق أهدافه الخاصة.

فمذكرة التفاهم التي جاءت لتخفيف التوتر لم تكن نهاية للصراع، بل مرحلة انتقالية حاولت خلالها واشنطن وطهران تحسين مواقعهما قبل استئناف المواجهة. وبينما أرادت الولايات المتحدة استخدام هذه الفترة لتثبيت الاستقرار حتى الانتخابات النصفية، رأت إيران أن استمرار الهدوء قد يمنح واشنطن فرصة لتعزيز موقعها السياسي والعسكري.

ومن هنا تحولت الأزمة من مجرد خلاف حول الملفات الأمنية إلى صراع على التوقيت والمبادرة ومن يفرض قواعد المرحلة المقبلة.

فهل نجحت إيران في استباق الحسابات الأمريكية وكشف رهان واشنطن على عامل الوقت، عندما قررت التصعيد قبل أن تتحول الهدنة إلى مكسب انتخابي للإدارة الأمريكية؟ وهل يمكن أن تدفع الحسابات الانتخابية في واشنطن وتل أبيب نحو توسيع

المواجهة مع إيران، بحيث تصبح الحرب أداة لتغيير المعادلات السياسية الداخلية، أم أن مخاطر الانزلاق إلى حرب إقليمية ستفرض حدوداً على طموحات جميع الأطراف؟

أولاً: مذكرة التفاهم... هدنة مؤقتة للانتخابات

لم تكن مذكرة التفاهم بين الولايات المتحدة وإيران اتفاق سلام أو تسوية نهائية، بل كانت ترتيباً مؤقتاً هدفه تجميد التصعيد ومنح الطرفين مساحة للمناورة. الإدارة الأمريكية نظرت إلى المذكرة باعتبارها فرصة لخفض التوتر في الخليج، وإعادة فتح الملاحة في مضيق هرمز أمام ناقلات النفط والسفن التجارية، ومنع اضطراب أسواق الطاقة خلال فترة حساسة سياسياً.

وكان العامل الانتخابي حاضراً بقوة في الحسابات الأمريكية مع اقتراب الاستحقاقات الانتخابية، حيث يستعد الحزبان الديمقراطي والجمهوري لمعركة انتخابية حاسمة ستُجرى في نوفمبر/تشرين الثاني 2026 لانتخابات الكونغرس وتشمل انتخاب عدد من أعضاء مجلس الشيوخ. إذ أن ارتفاع أسعار النفط ينعكس مباشرة على أسعار الوقود داخل الولايات المتحدة، وهو ما يؤثر على المزاج الشعبي والانتخابي. ولهذا كانت واشنطن بحاجة إلى فترة هدوء تسمح بانخفاض أسعار الطاقة، وتقديم صورة سياسية مفادها أن الإدارة نجحت في احتواء أزمة خطيرة دون الانزلاق إلى حرب واسعة. كما اعتمدت الإدارة الأمريكية على فكرة أن إيران، بسبب الضغوط الاقتصادية والعقوبات، ستفضل الاستفادة من التسهيلات التي قدمتها المذكرة بدل العودة إلى التصعيد.

وكان التصور أن الأشهر السابقة للانتخابات ستسمح بتحسين الوضع الاقتصادي الداخلي، وتعزيز موقف الحزب الجمهوري، ومنح الإدارة مساحة أكبر لاتخاذ قرارات أكثر تشدداً لاحقاً إذا احتاج الأمر. فإذا حافظ الحزب الجمهوري على الأغلبية داخل الكونغرس، فإن الإدارة ستصبح أكثر قدرة على التحرك عسكرياً وسياسياً دون قيود داخلية كبيرة.

في المقابل، لم تنظر إيران إلى المذكرة بالطريقة نفسها، بل تعاملت معها باعتبارها فرصة مؤقتة لإعادة ترتيب أوراقها وتحسين موقعها قبل عودة المواجهة. فقد اعتبرتها فرصة مؤقتة لتحقيق مكاسب اقتصادية وعسكرية، وليس تحولاً في طبيعة العلاقة مع الولايات المتحدة. فقد استفادت طهران من الإفراج عن جزء من الأموال

المجمدة، وزيادة صادرات النفط، وتحسين وضعها المالي، كما استغلت فترة الهدوء لإعادة ترتيب قواتها، ونقل المعدات، وتعزيز مواقعها الدفاعية.

وهنا ظهر الاختلاف الجوهري في الحسابات؛ إذ أدركت القيادة الإيرانية أن استمرار الهدوء حتى الانتخابات الأمريكية لن يكون مكسباً لها، بل ورقة سياسية تمنح واشنطن القدرة على تحويل الأزمة إلى نجاح انتخابي. ومن هنا جاء قرار الانتقال إلى التصعيد قبل الانتخابات، بهدف منع الولايات المتحدة من استثمار هذه المرحلة داخلياً.

ثانياً: إسرائيل بين الدافع الأمني والحسابات الانتخابية

تزامن الحديث عن احتمال استئناف العمليات العسكرية الكبرى ضد إيران مع اقتراب الاستحقاق الانتخابي الإسرائيلي المقرر في أكتوبر/تشرين الأول 2026، ما يضيف بُعداً سياسياً داخلياً إلى الحسابات العسكرية. فقد أشارت تقارير نقلتها صحيفة "أكسيوس" إلى أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يدرس استئناف عمليات واسعة في إيران، قد تشمل حملة عسكرية مشتركة مع إسرائيل، وهو تطور من شأنه أن يعيد فتح باب المواجهة ويمنح الحكومة الإسرائيلية، برئاسة بنيامين نتنياهو، فرصة لتوظيف الملف الأمني في معركتها السياسية الداخلية.

ولا يُختزل احتمال انخراط إسرائيل في أي مواجهة أمريكية مع إيران بالاعتبارات العسكرية أو الأمنية فقط، بل يتداخل بصورة واضحة مع الحسابات السياسية الداخلية، ولا سيما مع اقتراب الاستحقاقات الانتخابية. فبنيامين نتنياهو يواجه ضغوطاً سياسية متزايدة في ظل تراجع شعبيته واستمرار الجدل حول نتائج الحروب التي خاضتها حكوماته، ما يجعل أي تصعيد عسكري محتمل فرصة لإعادة ترتيب المشهد السياسي الداخلي.

وفي النظام السياسي الإسرائيلي، كثيراً ما تؤدي الأزمات الأمنية إلى توحيد الجبهة الداخلية وتقديم قضايا الأمن على الخلافات الحزبية. ومن هذا المنطلق، قد يرى نتنياهو أن توسيع المواجهة مع إيران أو الانخراط المباشر إلى جانب الولايات المتحدة يمنحه فرصة لتعزيز صورته كقائد قادر على إدارة التهديدات الوجودية، خصوصاً أنه يدخل أي استحقاق انتخابي من دون إنجاز استراتيجي حاسم، على الرغم مما حققته إسرائيل من

نجاحات عسكرية بقيت، في نظر كثير من النخب الإسرائيلية، إنجازات تكتيكية أكثر منها تحولات استراتيجية.

كما أن الحديث داخل الأوساط الإسرائيلية عن احتمال توظيف الظروف الأمنية لتعزيز موقع الحكومة أو حتى تأجيل بعض الاستحقاقات السياسية يعزز فرضية أن الحرب قد تتحول إلى ورقة انتخابية، في إطار ما يُعرف بسياسة "الهروب إلى الأمام"، أي نقل مركز الصراع إلى الخارج لتوحيد الداخل وكسب الوقت سياسياً.

لكن هذا الخيار لا يخلو من مخاطر كبيرة، إذ أن أي مواجهة واسعة مع إيران قد تفتح جبهات متعددة، وتدفع المنطقة إلى صراع إقليمي مفتوح. كما قد تمتد تداعياتها إلى الساحة اللبنانية، بحيث يصبح الاتفاق القائم بين لبنان وإسرائيل عرضة للاهتزاز أو حتى الانهيار إذا رأت تل أبيب أن التصعيد يخدم أهدافها السياسية أو الأمنية. ويعزز هذا الاحتمال أن الحكومات الإسرائيلية سبق أن أعادت تفسير تفاهمات أمنية أو تراجعت عن التزاماتها عندما تبدلت حساباتها الاستراتيجية، ما يبقي احتمال تجدد المواجهة قائماً حتى بعد انتهاء الاستحقاقات الانتخابية.

وبذلك، يصبح العامل الانتخابي حاضراً لدى جميع الأطراف؛ فإيران تسعى إلى استثمار الضغط السياسي الواقع على واشنطن وتل أبيب، بينما قد يرى نتنياهو في الحرب وسيلة لتحسين موقعه الداخلي. وهذا التداخل بين الحسابات العسكرية والانتخابية يجعل قرارات الحرب مرتبطة ليس فقط بالمعطيات الميدانية، بل أيضاً بحسابات صناديق الاقتراع.

في الختام، إن المعركة لا تُقاس فقط بنتائج الضربات العسكرية، بل بقدرة الإدارة على تحويل الأزمة إلى إنجاز سياسي. فهل يستطيع ترامب إنهاء المواجهة وتحقيق استقرار في أسواق الطاقة قبل الاستحقاقات الانتخابية، أم تتحول الحرب الطويلة وارتفاع كلفتها إلى عبء سياسي يهدد مستقبله؟ وماذا سيكون مصير حساباته إذا خسر الجمهوريون أغلبيتهم في الكونغرس، ووجد نفسه أمام معارضة ديمقراطية أكثر قدرة على تقييد سياساته أو فتح ملفات سياسية ضده؟.

وفي المقابل، يبقى السؤال الأصعب بالنسبة لبنيامين نتنياهو: إذا تغيرت موازين القوى في واشنطن، وخسر حليفه السياسي الأقوى، فهل يبقى لديه هامش للمضي في

استراتيجية التصعيد؟ أم أن رهانه على الحرب قد يتحول من وسيلة لتعزيز موقعه السياسي إلى عامل يهدد مستقبله؟.

وهل تصمد الهدنة في الساحة اللبنانية أم تتحول التطورات الإقليمية إلى عامل يعيد إشعال الحدود ويفتح الباب أمام مواجهة جديدة بين إسرائيل والمقاومة، خصوصاً إذا رأت تل أبيب أن الظروف السياسية أو العسكرية تمنحها فرصة لإعادة ترتيب قواعد الاشتباك؟.

زيارة سانشيز وتعزيز الشراكة الاستراتيجية بين إسبانيا والجزائر

بقلم: توفيق المديني

قام رئيس الحكومة الإسبانية السيد بيدرو سانشيز، يوم الاثنين 20تموز/يوليو 2026 بزيارةٍ إلى الجزائر، هي أول زيارة له منذ أكتوبر/تشرين الأول 2020، والأولى منذ الأزمة الدبلوماسية التي اندلعت بين الجزائر وإسبانيا في مارس/آذار 2022..

حين أعلنتْ مدريد دعمها خطة المغرب بشأن الصحراء الغربية، وهي منطقة تسيطر الرباط على معظمها وتتنازعها مع جبهة بوليساريو المطالبة بالاستقلال والمدعومة من الجزائر. ووضع هذا التحول حدّاً لموقف الحياد الذي تبنته إسبانيا تاريخياً حيال هذا الملف.

وأثار تبني إسبانيا لخطة الحكم الذاتي للصحراء الغربية غضب الجزائر التي ردَّت بتعليق معاهدة صداقة أبرمتها مع مدريد عام 2002، والحدِّ من المبادلات التجارية مع إسبانيا عبر تجميد العمليات المصرفية، في إجراء خلّف تداعيات اقتصادية كبيرة. كما استدعت الجزائر سفيرها لدى مدريد. وبعد هذا الفتور، بدأت العلاقات التجارية بين البلدين تتحسن تدريجِياً اعتباراً من العام 2025. وأعلنت الرئاسة الجزائرية في آذار/مارس 2026 أنَّ تبون قرَّرَ إعادة تفعيل معاهدة الصداقة.

الرئيس عبد المجيد تبون يستقبل سانشيز في قصر المرادية

كان الوزير الجزائري الأول سيفي غريب في استقبال سانشيز بالمطار لدى وصوله في زيارة استغرقت عدَّة ساعاتٍ. وبعد محادثات قصيرة في القاعة الشرفية بالمطار، توجه سانشيز إلى قصر المرادية الرئاسي، حيث كان في استقباله الرئيس عبد المجيد تبون.

وأكَّدَ تبون، خلال اللقاء، ضرورة استئناف المفاوضات للتوصل إلى حل سياسي ينهي الحرب بين إيران والولايات المتحدة، مشدِّداً على أنَّ أيَّ حلٍ يجب أن يراعي مصالح الدول العربية. وقال: "أكدت موقف الجزائر الذي يرى أنَّ الحلَّ لا يكون إلاّ سياسياً وسلمياً، وفقاً لقواعد القانون الدولي. وهنا نحن ندعو إلى استئناف المفاوضات وإلى تغليب لغة

الحوار"، مشدِّداً في الوقت نفسه على أنّ "أيَّ حلٍ يجب أن يأخذ بعين الاعتبار المصالح الحيوية للدول العربية".

وأوضح تبون أنَّ مناقشاته مع سانشيز تناولت تطورات الأوضاع في الشرق الأوسط، والتوتر المتزايد في منطقة الخليج وتداعياته على الأمن الغذائي والطاقوي العالمي، إضافة إلى القضية الفلسطينية، مشيداً بموقف مدريد، وقال: "عبرت لرئيس الحكومة عن الترحيب والارتياح لموقف الحكومة الإسبانية المشرف تجاه هذه القضية العادلة".

وخلال المؤتمر الصحافي المشترك، الاثنين، كشف الرئيس تبون أنَّه جرت خلال المباحثات السياسية مناقشة قضية الصحراء الغربية، من دون أن يقدم تفاصيل إضافية حول طبيعة هذه النقاشات أو تطورات الموقف بشأن هذه المسألة، التي كانت سبباً في أزمةٍ دبلوماسيةٍ كبيرةٍ بين البلدين في إبريل/نيسان 2022. كما بحث الجانبان تطورات الأوضاع في منطقة الساحل الأفريقي والأزمة الليبية. وقال تبون: "اتفقنا على مواصلة الحوار والتشاور، وعلى ضرورة دعم الجهود الأممية ومتعددة الأطراف لتغليب الحلول السلمية لهذه الأزمات والنزاعات، وفق ما يمليه القانون الدولي، ووفق الحقوق التي يضمنها ميثاق الأمم المتحدة".

إسبانيا سانشيز طليعة التمرد
في مواجهة الإمبريالية الأمريكية والكيان الصهيوني

يعدُّ الموقف الإسباني متميزاً من الحرب الأمريكية -الإسرائيلية المشتركة على إيران، إذْ أغلقت إسبانيا مجالها الجوي، أمام الرحلات المرتبطة بالحرب الأمريكية مع الكيان الصهيوني على إيران، ولم تسمح للطائرات الأمريكية العملاقة باستخدام قاعدتي روتا ومورون دي لا فرونتيرا في إشبيلية.

وكان رئيس الحكومة الإسبانية، بيدرو سانشيز، أشار إلى ذلك يوم الأربعاء 25 مارس 2026 في جلسة البرلمان، إذْ قال إنَّ إسبانيا، رفضت استخدام القاعدتين في الحرب غير القانونية، وجميع خطط الطيران المرتبطة بالعملية في إيران تم رفضها بما فيها طائرات التزود بالوقود، ولا تتم الموافقة على أي تحليق للقاذفات فوق الأجواء الإسبانية.

ولفتت الصحافة الإسبانية إلى أنَّ الرفض الإسباني أدى إلى تعقيد العملية، ففي الوقت الذي تسمح فيه قاعدتا روتا ومورون بخروج سريع إلى البحر، والتزود بالوقود فوق المحيط

الأطلسي، تضطر القاذفات إلى عبور فرنسا من الشمال إلى الجنوب والتزود فوق البحر المتوسط أو فوق فرنسا، والالتفاف حول مضيق جبل طارق وأثر هذا على كمية القنابل التي تحملها وباتت أقل بسبب التناسب العكسي بين الحمولة والوقود في التحليق البعيد..

وفي 20 أبريل 2026، كشف رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز، عن اعتزام بلاده الطلب من الاتحاد الأوروبي فسخ اتفاق الشراكة مع الكيان الصهيوني المبرم منذ عام 2000. وأوضح سانشيز أسبابه خلال تجمع انتخابي بإقليم الأندلس قائلاً إنَّ "حكومة تنتهك القانون الدولي لا يمكن أن تكون شريكاً للاتحاد الأوروبي"، في إشارة إلى الحكومة الصهيونية الفاشية التي يترأسها بنيامين نتنياهو المطلوب للمحكمة الجنائية الدولية لارتكابه جرائم حرب في غزَّة.

وطعنت إسبانيا لأول مرَّةٍ في الاتفاق في فبراير/شباط 2024، عندما أرسل سانشيز ورئيس الوزراء الإيرلندي آنذاك رسالة مشتركة إلى المفوضية الأوروبية، طالباً فيها بتقييم مدى امتثال الكيان الصهيوني لالتزاماته المتعلقة بحقوق الإنسان في أعقاب بدء حرب الإبادة الجماعية في غزة والتي قتل خلالها جيش الاحتلال الصهيوني أكثر من 70 ألف فلسطيني فضلاً عن إصابة عشرات الآلاف وتشريد مئات الآلاف. ومنذ ذلك الوقت، شدَّدَ سانشيز مواقفه تدريجياً إزاء الكيان الصهيوني، لا سيما مع الحرب في لبنان.

يُعَدُّ موقف رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز المطالب بفسخ اتفاقية الشراكة الأوروبية مع الكيان الصهيوني بمنزلة قطيعة تاريخية مع مواقف الدول الأوروبية الرئيسة (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا) المدافعة بقوةٍ عن خطاب تاريخ الحركة الصهيونية في الغرب، لا سيما خطاب الهولوكوست. فمنذ وعد بلفور عام 1917، لم تَجْرُؤْ عاصمة أوروبية كبرى على هزِّ أركان المظلة الاقتصادية التي تستظل بها تل أبيب بهذا الوضوح. اليوم، وفي ظل عامين من حربِ الإبادةِ الجماعيةِ التي نفذَّها الكيان الصهيوني بدعمٍ مطلقٍ من إدارة بايدن السابقة ضد الشعب الفلسطيني في غزَّة، يبدو أنَّ "عقدة الذنب" التاريخية تجاه الهولوكوست قد اصطدمتْ بجدار الضمير الإسباني، لتعلن مدريد ومعها عواصم أوروبية أخرى أنَّ زمن الحصانة للكيان الصهيوني رُبَّمَا يكون قد وَلَّى أو في طريقه إلى ذلك.

الشراكة الاستراتيجية بين إسبانيا والجزائر في مجال الطاقة

شَدَّتْ زيارة العمل والصداقة التي قام بها رئيس حكومة إسبانيا إلى الجزائر، اهتمام الصحافة الدولية التي أبرزت إرادة البلدين في تعزيز الحوار السياسي وتوطيد الشراكة الاقتصادية وتوسيع التعاون على المستويين الإقليمي والدولي. وتطرقتْ التحاليل الإعلامية الى المحادثات رفيعة المستوى بين رئيس الحكومة الإسبانية سانشيز والرئيس الجزائري عبد المجيد تبون، بوصفها تشكل اللبنة الأساسية والخطوة المحورية لإضفاء الديناميكية على العلاقات الثنائية وتأسيس مرحلة جديدة من الشراكة الاستراتيجية الشاملة.

وتزايدت أهمية الجزائر بالنسبة لإسبانيا في مجال الطاقة، ليس بسبب الحرب في الشرق الأوسط فحسب، ولكنَّ أيضاً بسبب قلق إسباني من تداعيات المواقف السياسية المتقدمة التي أعلنتها الحكومة الاسبانية ضد الخيار الأمريكي بالحرب على إيران ومواقفها التقدمية ضد الكيان الصهيوني، كما اعتبرت أنَّ المحادثات بين الجانبين جدَّدَتْ التأكيد على المكانة الاستراتيجية للجزائر كحليفٍ رئيسيٍّ وموثوقٍ لإسبانيا، وهو ما كلَّلَ بالاتفاق على عقد القمة الثنائية الكبرى بين البلدين في مدريد.

وأكَّدَ تبون أنَّ الجزائر وإسبانيا تتجهان نحو فتح مرحلةٍ جديدةٍ في علاقاتهما الثنائية، بعد سنواتٍ من التوتر، مشيراً إلى أنَّ الزيارة تجسد إرادة سياسية مشتركة لإعادة تنشيط الشراكة بين البلدين وتوسيع مجالات التعاون، وأنها تمثل محطة أساسية للتحضير للدورة الثامنة للاجتماع الجزائري – الإسباني رفيع المستوى، المرتقب عقده في أكتوبر (تشرين الأول) المقبل، مؤكداً أن البلدين يسعيان إلى بناء شراكة تحقق مصالحهما المشتركة.

وأوضح تبون أنَّ المحادثات شملت ملفات الطاقة والاستثمار والتبادل التجاري، إضافة إلى التعاون الأمني والقضائي والقنصلي، في إطار مسعى مشترك لإضفاء زخم جديد على العلاقات الثنائية. كما دعا إلى توسيع الشراكة الاقتصادية، مؤكداً أن المناخ الحالي يشجع رجال الأعمال والمتعاملين الاقتصاديين على إطلاق مشاريع جديدة والاستفادة من الفرص الاستثمارية التي يوفرها البلدان.

وفي السياق ذاته، أعرب الرئيس عن أمله في أن تضطلع إسبانيا بدورٍ أكبر داخل الاتحاد الأوروبي للمساهمة في تحقيق توازن أفضل في العلاقات الاقتصادية بين الجزائر والاتحاد

الأوروبي، والعمل على إعادة تفعيل مجلس الشراكة الجزائري - الأوروبي، الذي لم يعقد اجتماعاته منذ عام 2020.

ووفق تقارير صحافية إسبانية، جاء ملف الطاقة في صلب مباحثات سانشيز، إذ رافقه وفدٌ رفيع المستوى ضمَّ وزير الشؤون الخارجية خوسيه مانويل ألباريس، ووزيرة التحول البيئي سارا آخيسن، إضافة إلى رؤساء كبريات الشركات في القطاع مثل "ناتورجي"، و"ريبسول" و"إيناغاس" و"مويف". وذكّر سانشيز، الذي رافقه عدد من كبار مسؤولي شركات الطاقة الإسبانية، بأن الجزائر أصبحت منذ مطلع العام 2026 "المورد الأول للغاز الطبيعي" إلى إسبانيا، المرتبطة بها عبر خط أنابيب "ميدغاز".

ويعد ملف الطاقة الأبرز على طاولة النقاش الجزائري الإسباني، حيث تسعى مدريد إلى زيادة تدفقات الغاز الجزائري بنسبة 12٪ عبر الأنبوب البحري ميدغاز، أي من 28 مليون متر مكعب إلى 32 مليون متر مكعب، ما يعني الطاقة الاستيعابية القصوى للخط، واستخدام شحنات بحرية لوصول تدفقات إضافية، إذْ تُعَدُّ الجزائر المورد الرئيسي للغاز إلى إسبانيا في عام 2025، وتستحوذ على 35٪ من إجمالي الإمدادات.

على الصعيد الاقتصادي، تشير المبادلات التجارية بين إسبانيا والجزائر خلال السنوات الأخيرة إلى تباينٍ واضحٍ لصالح الجزائر. ففي عام 2021، بلغ حجم الصادرات الإسبانية إلى الجزائر نحو 1.78 مليار يورو مقابل واردات بقيمة 4.75 مليار يورو، ما أسفر عن عجز في الميزان التجاري الإسباني قدره 2.97 مليار يورو. ومع اندلاع الأزمة بين البلدين سنة 2022، تراجعت الصادرات الإسبانية إلى 1.021 مليار يورو، بينما قفزت وارداتها من الغاز والمنتجات الجزائرية إلى 7.597 مليار يورو، ليتسع العجز التجاري لمدريد إلى 6.576 مليار يورو.

وفي عام 2025، وعلى الرغم من ارتفاع الصادرات الإسبانية لتصل إلى 2.133 مليار يورو، ظلت الواردات القادمة من الجزائر في ارتفاع لتسجل 9 مليارات يورو، وهو ما رفع الميزان التجاري لصالح الجزائر بعجز إسباني بلغ 6.867 مليار يورو.

وقال فرانسيسكو رينيس، الرئيس التنفيذي لشركة ناتورجي الإسبانية للطاقة، هذا الأسبوع إنَّ الشركة ترغب في تعزيز علاقتها مع موردها الجزائري ومساهمها الرئيسي، شركة سوناتراك.

وتفيد بيانات قدمتها ناتورجي للسوق في 2022 بأنَّها تملك عقوداً مع شركة النفط والغاز الجزائرية الحكومية لتوريد نحو خمسة مليارات متر مكعب من الغاز سنويا. وأظهرت بيانات شركة إيناجاس الإسبانية لتشغيل شبكة الغاز أن الغاز الجزائري شكل أكثر من 29٪ من إجمالي واردات إسبانيا من الغاز في أول شهرين من العام.

ويُنقل الغاز عبر خط أنابيب ميدغاز، الذي تُعَدُّ ناتورغي شريكاً ثانوياً فيه، بينما تملك سوناطراك حصة 51٪. وتملك سوناطراك حصة تقدر بنحو 4٪ في ناتورغي. وتسعى دول أخرى للمزيد من الغاز الجزائري في ظل الاضطرابات الناجمة عن الصراع في الشرق الأوسط.

الجزائر تعيد بعث مشروع أنبوب الغاز العابر للصحراء

تعتزم الجزائر إحياء مشروع أنبوب الغاز العابر للصحراء، الذي تعود فكرته إلى سبعينيات القرن الماضي، ويُعَدُّ خياراً استراتيجياً واعداً في سياق التحولات الكبرى التي عرفتها أسواق الطاقة العالمية. لكنَّه قد يواجه بحسب خبراء جملة من التحديات، أبرزها المخاطر الأمنية في بعض مناطق العبور، وصعوبة حشد التمويل، إضافة إلى تقلبات المناخ السياسي والإقليمي.

في يوليو/تموز 2022، وقّعت الجزائر ونيجيريا والنيجر خلال اجتماع وزاري مذكرة تفاهم لبناء خط أنابيب غاز بطول 4128 كيلومتراً عبر الصحراء الكبرى، لتصدير الغاز النيجيري إلى أوروبا عبر النيجر ثم الجزائر، بحسب ما أفاد بيان لوزارة المحروقات الجزائرية، لكنَّ من دون تحديد تاريخ إنجازه. وعندما أطلقت فكرة المشروع في 2009، قُدِّرت كلفة بنائه بحوالي 10 مليارات دولار. فقد أصبحت الجزائر مورّداً رئيسياً للغاز للاتحاد الأوروبي (نحو 12٪ من حاجاته) بعدما ازداد الطلب الدولي على الغاز والنفط وارتفعت أسعارهما عقب الحرب الروسية – الأوكرانية في نهاية فبراير/شباط 2022.

من الناحية الاستراتيجية، يحمل المشروع أبعاداً متعددةً. فهو بالنسبة لنيجيريا يمثل منفذاً برياً مباشراً نحو السوق الأوروبية خارج مسارات الغاز الطبيعي المسال. فيما يشكل للنيجر مصدراً محتملاً للإيرادات ورسوم العبور وفرص البنية التحتية. أما الجزائر فترى فيه تعزيزاً لدورها كمحور إقليمي لنقل وتصدير الغاز نحو أوروبا عبر شبكاتها القائمة في البحر المتوسط. كما يُنظر إليه أوروبيا ضمن سياق تنويع مصادر الإمداد وتقليص الاعتماد على

موردين تقليديين، مع أن تنفيذه يظل مرتبطاً بتأمين التمويل والاستقرار طويل الأمد في منطقة الساحل.

ويواجه هذا المشروع تحدِّيَاتٍ أمنيةٍ ومالية، فقد أكَّد إيتيان فاباكا سيسوكو، المحلل المختص في الشؤون الأفريقية أنَّ التحدي الرئيسي أمنيٌّ بالدرجة الأولى. ويتمثل في مرور مسار الأنبوب عبر مناطق تنشط فيها جماعات مسلحة وشبكات إجرامية عابرة للحدود، خصوصاً وأنَّ حمايةَ بنيةٍ تحتيةٍ خطيّةٍ تمتد لأكثر من أربعة آلاف كيلومتر "تتطلّب تنسيقا عسكرياً مستداماً، وتبادلاً فعالاً للمعلومات الاستخباراتية، وحدّاً أدنى من الاستقرار السياسي، ولا سيما في النيجر. وأيّ تدهورٍ مطولٍ في الوضع الأمني من شأنه أن يضعف مصداقية الجدول الزمني للمشروع ويرفع كلفته".

أما التحدِّي الثاني بحسب المتحدث "فهو ماليٌ ومؤسسيٌّ. فالمشروع يحتاج إلى استثماراتٍ ضخمةٍ، وضماناتٍ سياديةٍ راسخةٍ، وبيئةٍ تنظيميةٍ قابلةٍ للتوقع. وفي سياقات تتسم بهشاشة الدولة، لا تكمن المسألة الجوهرية في الجدوى التقنية، بل في قدرة الدول على تأمين المجال، وتثبيت قواعد اللعبة، والوفاء بالتزاماتها على المدى الطويل".

خاتمة

بعد أزمةٍ سياسيةٍ حادَّةٍ بين البلدين، تَتَّجِهُ الجزائر وإسبانيا، اليوم، إلى طَيٍّ كاملٍ للآثار المترتبة عن الأزمة السياسية الماضية، والتحول نحو خيار بناءِ شراكةٍ استراتيجية سياسيةٍ واقتصاديةٍ، تُعزِّزُها بعض العوامل ذات الصلة بالقرب الجغرافي والموقع المتوسطي، والمرونة الكبيرة في التعاون التجاري والطاقي، وضروراتِ التنسيق في مسائل محاربةِ المخدراتِ والهجرةِ السرِّيةِ، إضافة إلى الموقف الإسباني الجذري من الحرب الأمريكية - الإسرائيلية على إيران، ومن حرب الإبادة الجماعية على غزَّة، حيث أَصْبَحَتْ إسبانيا الدولة الأوروبية الرائدة في الدفاع عن القضية الفلسطينية، والاعتراف بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.

زيـارة سانشـيز
وتعزيز الشراكة الإستراتيجية
بين إسبانيا والجزائر

باب المندب خط أحمر..
السعودية في امتحان صعب أمام الحصار اليمني

بقلم: نوال النونو

"دخلت معادلة "الحصار بالحصار" مرحلة التنفيذ العملي، مع إعلان القوات المسلحة اليمنية استهداف عدد من السفن النفطية التابعة للسعودية في البحر الأحمر، وإجبار سفن أخريات على المغادرة دون المرور من مضيق باب المندب."

وأعلنت القوات المسلحة اليمنية الخميس الماضي عن استهداف سفينتين نفطيتين سعوديتين هما السفينة "ENCELIA" والسفينة "LAYLA"، بعد مخالفتهما قرار الحظر البحري في البحر الأحمر، موضحة ان العملية نفذت باستخدام عدد من الصواريخ الباليستية والمجنحة والطائرات المسيّرة، مؤكدة أنها حققت إصابات دقيقة في السفينتين تسببت في اندلاع حريق.

وأوضحت أن العملية أسفرت كذلك عن إجبار ما يقارب 10 سفن على التراجع والعودة، في إطار إجراءات فرض الحظر البحري، مجددة التأكيد بأنها - أي القوات المسلحة اليمنية - ستواصل عملياتها البحرية ضد العدو السعودي، بهدف فرض معادلة "الحصار بالحصار"، مشيرة إلى أن عملياتها ستستمر حتى تحقيق أهدافها المعلنة.

وبحسب مسؤول في الهيئة العامة للنقل السعودي، فإن سفينة (ENCELIA) التابعة لأحد الشركات السعودية، تعرضت لاستهداف أثناء إبحارها في البحر الأحمر نتج عنه حريق في مقدمة السفينة.

وأعلنت القوات اليمنية عصر الاثنين الماضي فرض الحظر البحري على السعودية، مؤكدة جاهزيتها لخوض مختلف سيناريوهات المواجهة الشاملة، بهدف رفع الحصار المفروض على اليمن وإنهاء العدوان عليه.

وتأتي هذه التطورات بعد خطاب ألقاه زعيم أنصار الله السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي الأسبوع الماضي أكد فيه أن اليمن لن يقبل باستمرار الحصار المفروض عليه من

قبل السعودية منذ أكثر من 11 سنة، وأن القوات اليمنية على أهبة الاستعداد للمواجهة، وأن المنشآت النفطية والحيوية السعودية ستكون هدفاً للصواريخ والطائرات اليمنية إذا ارتكبت السعودية حماقة وقامت بالعدوان مجدداً على اليمن.

ارتباك سعودي وتزييف للواقع

وتسبب القرار اليمني بحظر الملاحة السعودية في البحر الأحمر بارتباك النظام السعودي الذي ندد بهذه الخطوة، زاعماً أن الرياض عملت خلال عشر سنوات في التخفيف من معاناة الشعب اليمني، بما في ذلك استمرار المشاريع التنموية ودعم ميزانية الحكومة اليمنية، وتوفير المشتقات النفطية، لتشغيل محطات الكهرباء، متجاهلاً حصاره للشعب اليمني في المناطق الواقعة تحت سيطرة أنصار الله، ونهب الثروة النفطية والغازية في مأرب وحضرموت وشبوة، ودعمه للفوضى والخراب في اليمن وتنفيذ الغارات الجوية التي وصلت لأكثر من نصف مليون غارة، وتسببت في استشهاد واصابة 40 ألف مدني، وتدمير كل مقومات الحياة، وخلقت أكبر أزمة إنسانية في العالم، وكانت السبب في عدم استقرار اليمن سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً.

وحشدت المملكة بيانات لعدد من دول العالم، عبرت كل هذه البيانات عن ادانة ما سموه بـــ "الحوثيين" والوقوف إلى جانب المملكة العربية السعودية في الحصار المفروض عليها، دون أن تلتفت هذه البيانات إلى معاناة الشعب اليمني طيلة 12 سنة، وما عاناه اليمنيون من حصار وجوع واغلاق للمنافذ البرية والجوية والبحرية نتيجة العدوان السعودي الذي بدأ في 26 مارس/ آذار 2015م، ما يؤكد الاصطفاف الأعمى لهذه الدول، وانحيازها مع الجلاد ضد الضحية، في موقف يجسد النفاق الدولي وعدم الانتصار لحقوق المظلومين.

لا تراجع أبداً عن كسر الحصار

وأمام هذه الوقائع، تؤكد القيادة الثورية والسياسية في اليمن أنها لن تتراجع قيد أنملة في قرار حظر الملاحة السعودية في البحر الأحمر، معتبرة أن هذه خطوة أولية، وستعقبها خطوات أكثر قسوة، مستندة إلى تجربة سابقة خلال منع السفن الإسرائيلية من عبور البحر الأحمر خلال معركة اسناد غزة [2013-2025م]، وهزيمة الجيش الأمريكي

والبريطاني في المعركة البحرية، ما يجعل أي مواجهة مع السعودية سهلة مقارنة بالعمليات الماضية.

ويوجه عضو المكتب السياسي لأنصار الله محمد الفرح رسالة إلى كل المتعاطفين مع السعودية، قائلاً: "هل تقبل أن تكون موانئكم تحت الحصار السعودي، لا يدخل إليها إلا ما يريده السعودي، ولا تمر إلا بتصريحات منه، ولا تصل بضائعكم إلا وقد تضاعفت أسعارها 400٪؟".

ويتابع: "هل تقبلون أن يغلق السعودي مطاراتكم، ولا يخرج أحد للدراسة أو التجارة أو العلاج إلا بإذن منه وإلى الوجهة التي يريدها؟".

وتبث القوات البحرية اليمنية تحذيرات عبر اللاسلكي إلى السفن في البحر الأحمر، مطالبة بعدم التوجه إلى الموانئ السعودية، وأنه في حال المخالفة ستتعرض السفينة للاستهداف، ولذلك تعرضت السفينتين السعوديتين للقصف لأنهما خالفتا القرار اليمني، ما يعني أن القرار الذي دخل حيز التنفيذ منذ أيام سيشكل ضربة قاصمة للاقتصاد السعودي والعالم، فآثاره بدأت تتضح من خلال ارتفاع أسعار النفط، ووصول سعر البرميل الواحد إلى ما يقارب 100 دولار، إضافة إلى ارتفاع سعر التكلفة، فشركات الشحن لا يمكنها المغامرة في بيئة خطرة كالبحر الأحمر، ولديهم تجربة سابقة خلال معركة اسناد غزة، ولذلك فإن عبور أي سفينة يعد مجازفة، وهذا يتطلب تدفع المزيد من الأموال وارتفاع التأمين.

وتفتح أولى الهجمات على ناقلات النفط في البحر الأحمر جبهة جديدة في صراع المنطقة، فإغلاق مضيق هرمز وباب المندب سيكون صفعة كبيرة في وجه الإدارة الأمريكية وحلفائها الذين يحشدون قواتهم للعدوان على الجمهورية الإسلامية ومحور المقاومة، ما يجعلهم في منطقة اختناق لا يستطيعون الخروج منها بسهولة.

ويرى المسؤولون اليمنيون أن السعودية كان بإمكانها، بقرار واحد، أن ترفع الحظر وتفك الحصار، وتترك للشعب اليمني ثرواته التي لا تساوي شيئًا أمام النفط السعودي، وتوقف عدوانها، وتسحب قواتها، وتعوّض كل من تضرر في اليمن، وانقطعت مرتباته، ودُمِّرت بيوته، وتحترم نفسها، وتترك لليمن شأنه دون الحاجة إلى إدخال نفسها في مشاكل هي في غنى عنها."

ويشيرون إلى أن السعودية لديها من النفط ما يكفيها، ولديها من الأراضي الواسعة ما يكفيها، ولديها بحار وسواحل واسعة، ولديها طموحات اقتصادية وتنموية كبيرة، وكان بإمكانها أن تنافس الصين واليابان، أو أن تصنع نهضة، دون الحاجة إلى التدخل في شؤون الآخرين، مؤكدين أن من يورط نفسه في مستنقع اليمن، فهو الخاسر، وسيندم حين لا ينفع الندم.

وتبقى السعودية في ورطة كبيرة، فالرد على الحصار اليمن بالمزيد من القصف للمدن والقرى اليمنية سيدفع القوات المسلحة اليمنية للرد بقوة واستهداف المنشآت النفطية والحيوية في المملكة، وهذا سيزيد من الكلفة عليها، ولا سيما أن القوات اليمنية تمتلك الآن قدرات نوعية لم تكن بحوزتها خلال عدوان 2015م، وستكون آبار ينبع وأرامكو في دائرة قصف الصواريخ الفرط صوتية والمجنحة والطائرات المسيرة الحديثة.

ولذا، فلا خيار أمام المملكة سوى الانحناء للعاصفة، والبحث عن خيارات دبلوماسية، تقود في النهاية إلى الاعتراف بحكومة صنعاء، ورفع الحصار عن اليمن، والانسحاب من المدن والمحافظات اليمنية التي تحتلها، وجبر الضرر، ودفع التعويضات، ما لم فإن اليمن قد سل سيفه البتار، ولا أظن أن السعودية ستكون في منأى عن العقاب.

الإغلاق المزدوج لهرمز وباب المندب..

كيف تهتز هندسة الاقتصاد العالمي؟

بقلم: د. محمد الايوبي

"منذ ما يربو على اثني عشر عاماً، والسعودية تمارس حصاراً جائراً على اليمن، يغلق فيه الموانئ والمطارات، وينهب الثروات، في اعتداء سافر أمعن في تكريس معاناة شعبٍ صامدٍ، أبى إلا أن يظل متمسكاً بحقه في الحياة والكرامة، رافضاً كل محاولات الخنوع والاستسلام."

ولمّا كان الحق في مواجهة العدوان مشروعاً بكل الوسائل المتاحة، ولمّا كانت المقاومة واجباً شرعياً وإنسانياً في وجه الظلم المتمادي، جاء إعلان القوات المسلحة اليمنية، في بيانها الأخير، "فرض حظر الملاحة البحرية على العدو السعودي"، مُكرِّسةً بذلك معادلة "الحصار بالحصار"، ومُؤكِّدةً جاهزيتها لكل الخيارات، ومُصمِّمةً على مواصلة السعي حتى إنهاء الحصار واستعادة الحقوق المغتصبة، في موقف يعكس إرادة شعبٍ لا يرضى بالهوان، ويُثبت أن المعادلات العسكرية لا تُحسم إلا بالصبر والصمود والإرادة التي لا تلين.

غير أن هذا التصعيد الإقليمي لا يقع في فراغ استراتيجي، بل يتكامل مع معادلة إقليمية ودولية أشمل، تتعلق بقلب النظام البحري العالمي ذاته. وهذا السيناريو، الذي وصفه بعض الاستراتيجيين بأنه أقرب إلى ملامح حرب عالمية ثالثة، ليس فقط أزمة عبور بحري، بل هو نقطة تحوّل تعيد تشكيل الخريطة الجيوسياسية والاقتصادية للعالم بأسره، وتقلب موازين القوى التي استقرت منذ عقود على هيمنة الممرات المائية في خدمة النظام الرأسمالي العالمي.

حين يكون التهديد أقوى من الإغلاق

إن الأسواق المالية وشركات الشحن تتفاعل مع احتمالات الخطر بالسرعة نفسها التي تتفاعل بها مع الوقائع الميدانية، لأن ارتفاع منسوب اللايقين الجيوسيفي ينعكس مباشرةً على تكاليف النقل البحري، وأقساط التأمين، وأسعار الطاقة، وتقديرات المخاطر الاستثمارية. وفي أدبيات العلاقات الدولية المعاصرة، يُوصف هذا التحول بمفهوم

"الترابط المسلح"، الذي يصف الكيفية التي يتحول بها الاعتماد المتبادل إلى أداة للتأثير والضغط وإعادة هندسة السلوك السياسي للدول.

ويحتل مضيق باب المندب موقعاً محورياً في هذا السياق، باعتباره البوابة البحرية التي تصل البحر الأحمر بخليج عدن والمحيط الهندي، وتمثل المدخل الجنوبي لقناة السويس. تشير التقديرات إلى أن ما بين 10٪ و12٪ من التجارة البحرية العالمية يعبر هذا الممر الضيق سنوياً، وترتفع النسبة في بعض التقديرات إلى 14٪، فيما تمر عبر قناة السويس، التي يغذيها المضيق، ما يناهز 25٪ إلى 30٪ من حركة النقل بالحاويات على مستوى العالم. ويعبر المضيق، في الأحوال الاعتيادية، نحو 20 ألف سفينة سنوياً، بمعدل حمولة بلغ 1.6 مليار طن بين عامي 2020 و2023.

لقد برهنت أزمة البحر الأحمر، أواخر عام 2023، أن التحذيرات المتكررة واحتمالات الاستهداف، قبل أن تتجسد، دفعت عدداً كبيراً من شركات الملاحة إلى إعادة توجيه سفنها نحو طريق رأس الرجاء الصالح، فكان ذلك سبباً في تراجع حركة العبور عبر المضيق إلى أقل من نصف طاقته الاعتيادية. وكل تحويل لمسار سفينة حاويات حول رأس الرجاء الصالح يضيف ما بين 10 و14 يوماً إلى جدول رحلتها، مسبباً ضغطاً على أزمنة المناولة في الموانئ العالمية، وارتفاعاً ملحوظاً في أسعار الشحن، التي سجّلت زيادة تراوحت بين 200٪ و300٪ خلال اضطرابات البحر الأحمر مطلع عام 2024.

وتزداد قيمة هذه الورقة بحكم ارتباطها بممر يحمل وزناً مضاعفاً في أمن الطاقة. فوفق تقديرات وكالة الطاقة الدولية، ما بين 4.2 و4.8 ملايين برميل من النفط الخام ومشتقاته يعبر باب المندب يومياً، أي ما يقارب 5٪ من الإنتاج العالمي، فضلاً عن كونه ممراً أساسياً لصادرات الغاز الطبيعي المسال القطري إلى أوروبا، البالغة نحو 30 مليون طن سنوياً. وتكتسب هذه الورقة زخماً مضاعفاً في ظل إغلاق طهران مضيق هرمز، الذي ينقل نحو 20٪ من النفط والغاز العالميين، ما دفع جزءاً معتبراً من صادرات الطاقة الخليجية إلى البحر الأحمر عبر خط أنابيب بري سعودي، لتصبح بذلك حركة العبور عبر باب المندب وحده ناقلة لما يقارب 7٪ من إمدادات الطاقة العالمية حالياً.

ومن الواضح أن غاية هذا السلوك هي ممارسة إكراه استراتيجي يصبو إلى تعديل سلوك الخصم عبر إبقاء احتمالات التصعيد قائمة، مع الحفاظ على مستوى منخفض من

الانخراط المباشر في المواجهة. فقد أظهرت أحداث البحر الأحمر أن استهداف حركة أنصار الله بعض السفن، أو التهديد به، يمنح هذا السلوك مصداقية عالية، ويدفع الأسواق إلى التعامل معه كاحتمال دائم يستوجب الاحتياط.

وهكذا، تصبح القدرة على إنتاج الشك في استمرارية التدفقات التجارية شكلاً جديداً من أشكال القوة في النظام الدولي، وأداة من أدوات إدارة الصراع، حيث يظل باب المندب مفتوحاً تحت وطأة تهديد دائم، في منطقة رمادية تفصل بين الأمن والانقطاع، ويتحوّل اللايقين إلى مورد استراتيجي قائم بذاته.

الإغلاق الفعلي.. من التهديد إلى الكارثة

يفضي انتقال التهديد من المجال الاحتمالي إلى المجال التنفيذي إلى شكل مختلف من المواجهة. فالهجمات اليمنية التي شهدها البحر الأحمر منذ عام 2023 ضد سفن محددة، أو مضايقة حركة الملاحة فيه، تختلف نوعياً عن سيناريو الإغلاق الكامل للمضيق، وهو السيناريو الذي ارتبط بالتهديدات الإيرانية المباشرة.

وتفرض الطبيعة الجغرافية للمضيق، الذي يتراوح عرضه بين 26 و32 كيلومتراً عند أوسع نقاطه، بينما لا يتجاوز عرض قناتيه الملاحيّتين الفعليتين نطاقاً يمتد من 3 إلى 22 كيلومتراً، تحديات عملياتية معقدة تجعل أي تعطيل شامل للملاحة فيه شديد الكلفة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً. وعلى هذا الأساس، يبدو السيناريو الأكثر اتساقاً مع منطق الصراع الحالي هو الإبقاء على باب المندب في منطقة رمادية تفصل بين الأمن والانقطاع. بيد أن السؤال الأكثر إلحاحاً يظل: ماذا لو أُغلق باب المندب إلى جانب مضيق هرمز؟

التداعيات الكارثية للإغلاق المزدوج

أولاً: صدمة عالمية مركبة

لا شك في أن العدو الأمريكي قد جُن جنونه بسبب تحكم إيران في مضيق هرمز، لأنه أهم ممر مائي لنقل الطاقة في العالم؛ إذ تعبره يومياً ناقلات تحمل نحو 20 مليون برميل من النفط، وهو ما يعادل تقريباً 20٪ من الاستهلاك العالمي، إضافة إلى نحو خُمس إمدادات الغاز الطبيعي المسال. وعندما يُضاف إلى ذلك شبح إغلاق مضيق باب المندب،

فإننا نتجه إلى تعطيل 12٪ أخرى من عمليات نقل النفط العالمي، إضافة إلى 8٪ من الشحنات العالمية للغاز الطبيعي المسال.

وبالتالي، فإن إغلاق المضيقين معاً يضع الاقتصاد العالمي أمام صدمة مزدوجة ومركبة، إذ لا تقتصر الأزمة على صدمة شحن مضافة إلى صدمة طاقة فحسب، بل يفاقم كل منهما أثر الآخر، فيرفعان أسعار الوقود والشحن والتأمين وكلفة التسليم في الوقت نفسه. وهنا تتحول تداعيات الحرب إلى تضخم، واضطراب صناعي، وركود تضخمي.

بذلك؛ نكون إزاء صدمة طاقة عالمية بخروج نحو 20 مليون برميل من النفط يومياً من الخليج، وإغلاق منافذ عبور الغاز الطبيعي المسال، ما سيؤدي إلى ارتفاع قياسي وتاريخي في أسعار النفط والغاز، وأزمة غذاء وتضخم بسبب عرقلة خطوط إمداد الأسمدة الزراعية العالمية والسلع الاستهلاكية الحيوية، ما يُدخل الدول في مرحلة مزدوجة تجمع بين الركود الاقتصادي والتضخم المفرط.

ثانياً: الآثار الكارثية على الاقتصاد الخليجي

سيكون للإغلاق المزدوج تداعيات عالمية، لكن الصدمة ستتركز جغرافياً في الخليج، حيث تواجه دوله وضعاً يشبه الحصار البحري. فهي دول مصدرة للطاقة، لكنها تعتمد بشدة أيضاً على الواردات في الغذاء والأدوية والسلع الصناعية. ومع تعطل هرمز شرقاً وانسداد باب المندب غرباً، يتعرض نموذجها القائم على التصدير والاستيراد معاً للضغط في وقت واحد.

وقد بدأت المملكة العربية السعودية استخدام باب المندب كنقطة عبور لتصدير النفط السعودي من ميناء ينبع. وبالتالي، فإن إغلاق باب المندب يقطع الطريق على المتنفس السعودي الذي حاولت المملكة من خلاله تعويض خسائرها في هرمز، كما ستعاني الأسواق الأوروبية بصورة مماثلة لمعاناة الأسواق الآسيوية، التي تعتمد أساساً على مضيق هرمز.

ثالثاً: الآثار الكارثية على الولايات المتحدة الأمريكية

على الرغم من تظاهر أمريكا بأنها غير معنية بتداعيات إغلاق مضيق هرمز، ومحاولاتها ابتزاز الصين وأوروبا للتدخل في الأزمة بصفتهما أكبر المتضررين، ومحاولتها ابتزاز دول الخليج لدفع تكاليف الحرب باعتبار أمريكا حامية لمصالحها وتتصدى لإنقاذ تجارتها، فإن

واقع الحال يقول إن أمريكا من أكبر المتضررين، رغم طفرة إنتاج النفط فيها ونهبها نفط فنزويلا. والسبب أن أمريكا لا تستطيع عزل اقتصادها عن ارتفاع أسعار الطاقة، لأن النفط يُسعّر في سوق عالمية واحدة تقريباً. وبالتالي، فإن أي ارتفاع في الأسعار العالمية ينعكس مباشرةً على السوق الأمريكية.

ويمكن إيجاز التداعيات الكارثية على أمريكا في النقاط التالية:

1. ارتفاع أسعار الوقود

ينتقل أثر ارتفاع أسعار النفط بسرعة إلى أسعار الوقود المشتق، ولا سيما البنزين والديزل ووقود الطائرات. وتشير التقديرات الاقتصادية إلى أن كل زيادة بمقدار 10 دولارات في سعر برميل النفط تؤدي إلى ارتفاع يقارب 25 سنتاً في سعر غالون البنزين داخل السوق الأمريكية، وهو ما يتسبب في زيادة كبيرة في الإنفاق الأسري، خصوصاً في الولايات التي تعتمد بشكل كبير على السيارات الخاصة في التنقل لمسافات طويلة.

2. ارتفاع أسعار السلع الأساسية

لا يقتصر تأثير ارتفاع أسعار النفط على قطاعي الطاقة والنقل فقط، بل يمتد ليشمل مجموعة واسعة من السلع الأساسية التي يعتمد إنتاجها وتسويقها على الطاقة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من مواد غذائية ومنتجات زراعية وملابس وأجهزة إلكترونية، إضافة إلى المواد البلاستيكية ومشتقات البتروكيماويات. وبالتالي، تتحول صدمة أسعار النفط إلى موجة تضخم واسعة النطاق تشمل معظم السلع والخدمات داخل الاقتصاد الأمريكي.

3. ضغوط على الاحتياطي الفيدرالي

يؤدي ارتفاع أسعار النفط الناتج عن اضطراب إمدادات الطاقة إلى إعادة تنشيط الضغوط التضخمية داخل الاقتصاد الأمريكي، وهو ما يضع مجلس الاحتياطي الفيدرالي أمام معادلة اقتصادية معقدة تقوم على التوازن بين هدفين متعارضين: كبح التضخم من جهة، والحفاظ على مستويات النمو الاقتصادي والتوظيف من جهة أخرى.

4. التأثير في الصناعة الأمريكية

تؤثر الأزمة في عدة قطاعات صناعية، أبرزها قطاع البتروكيماويات، الذي يُعد من أكثر القطاعات حساسية لأسعار النفط، نظراً إلى اعتماده المباشر على المشتقات النفطية

كمواد أولية، وهو ما يرفع كلفة إنتاج مجموعة واسعة من السلع الصناعية. كما يتأثر القطاع الزراعي بصورة غير مباشرة عبر ارتفاع أسعار الأسمدة والطاقة، ما ينعكس على كلفة الزراعة وزيادة أسعار المواد الغذائية. ويتأثر قطاعا الطيران والنقل بصورة مباشرة، إذ يُعد الوقود أحد أهم عناصر الكلفة فيهما. وبذلك، يمتد تأثير الإغلاق الكارثي ليشمل بنية الإنتاج الصناعي والخدماتي في الولايات المتحدة.

5. استنزاف الاحتياطي النفطي الاستراتيجي الأمريكي

تلجأ الولايات المتحدة، في حالات الأزمات النفطية الناتجة عن اضطراب الإمدادات العالمية، إلى استخدام الاحتياطي النفطي الاستراتيجي (SPR)، باعتباره أداة قصيرة الأجل لتهدئة الأسواق وكبح الارتفاع الحاد في الأسعار. غير أن اللجوء المكثف إلى هذا الاحتياطي يترتب عليه مجموعة من الآثار الاقتصادية والاستراتيجية المهمة، أبرزها تراجع حجم المخزون الاستراتيجي المتاح، ما يؤدي إلى تقليص هامش الأمان الطاقي. كما أن إعادة ملء هذا الاحتياطي بعد استخدامه تتم عادة في ظروف سوقية مرتفعة الأسعار، ما يجعل عملية إعادة الشراء أكثر كلفة على الخزينة العامة. وبذلك، تتحول الأداة التي استُخدمت لاحتواء الأزمة إلى عبء مالي إضافي على الموازنة الفيدرالية.

ففي النهاية؛ شكّلت عقيدة الهيمنة البحرية أول التحركات الإمبراطورية في العقيدة الأمريكية، التي خرجت من حدودها لترتقي عرش الهيمنة العالمية على أنقاض الإمبراطورية البريطانية. ويبدو أن هذه الاستراتيجية البحرية هي التي ستقود إلى نهاية الحلم الأمريكي، فما كان لإمبراطورية أن تنهار إلا من حيث قامت. فالإغلاق المزدوج لمضيقَي هرمز وباب المندب، مهما تكن درجة احتماله، لم يعد سيناريو هامشياً في حسابات البنتاغون ومجلس الاحتياطي الفيدرالي، بل تحوّل إلى اختبار حقيقي لهشاشة النظام العالمي القائم على سلاسل إمداد طويلة ومعقدة، يعتمد أمنها على ممرات مائية يمكن لجهات غير دولية أن تهددها أو تغلقها.

وهنا تكمن المفارقة التاريخية: أن القوة التي بنت هيمنتها على حرية الملاحة قد تجد نفسها أسيرة لورقة الملاحة ذاتها، في لعبة استراتيجية كشفت، أخيراً، أن التحكم في نقاط الاختناق البحرية ليس حكراً على الإمبراطوريات العظمى، بل هو سلاح من يمتلك الجرأة على استخدامه في اللحظة المناسبة. ولعل الأيام المقبلة وحدها هي التي

ستكشف ما إذا كان العالم سيواجه صدمة عابرة أم ولادة جديدة لنظام دولي تغيّرت فيه معادلات القوة إلى الأبد.

إيران ترفع كلفة المواجهة.. الخسائر الأمريكية تتعاظم

بقلم: ابتسام الشامي

"في الجولة الثانية من الحرب العدوانية عليها، تنجح الجمهورية الاسلامية الإيرانية في رفع أثمان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بشرياً واقتصادياً، وفي ما تزداد التوقعات الغربية تشاؤماً بقدرة القوة العسكرية على تحقيق إنجاز ميداني يُخضع طهران، يرتفع منسوب القلق من تعمق مأزق واشنطن في غرب آسيا وما يترتب على ذلك من تداعيات على مكانتها وعلى الاقتصاد العالمي."

إرباك في إدارة الحرب

يواصل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب استراتيجيته في إدارة حربه العدوانية على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مستخدماً المزيد من أدوات الضغط والتضليل، وفي ما يرفع سقف التهديد بتدمير البنى التحتية الإيرانية ومنشآت الطاقة في حال مواصلة إيران إغلاق مضيق هرمز، يواصل مزاعمه حول ضمان العبور الآمن للسفن، فضلاً عن ادعاءاته بنجاح العدوان في تقليص القدرات العسكرية الإيرانية سواء في الحفاظ على السيطرة الكاملة على المضيق أو التعامل مع العدوان بالردود العسكرية المتناسبة.

على أن العدوان العسكري ضد إيران الذي استأنفه الأمريكيون يتجاوز الفعل العسكري إلى البلطجة التي تجيدها واشنطن ويتقنها رئيسها الحالي. فوفقاً لآخر قراراته المعلنة بشأن وضعية مضيق هرمز الاستراتيجي، أعلن ترامب أن الأضرار التي لحقت بالسفن والبضائع نتيجة الهجمات المرتبطة بإيران و"أذرعها" ستُعوض من الأموال الإيرانية المجمدة والخاضعة لسيطرة الولايات المتحدة، في خطوة قال إنها تهدف إلى تحميل طهران مسؤولية الخسائر الناجمة عن استهداف حركة الملاحة. وفي منشور عبر منصة Truth Social، أوضح ساكن البيت الأبيض، أن أي أضرار تلحق بالسفن أو الشحنات أو ما يرتبط بها "من الآن فصاعداً وحتى إشعار آخر" سيجري تعويضها من الأموال الإيرانية التي تمتلكها الولايات المتحدة وتسيطر عليها، مشيراً إلى أن قيمة هذه الأضرار قد تكون "كبيرة للغاية".

الخسائر الأمريكية تتصاعد

القرار الذي جاء بعد ساعات من إعلانه استهداف البنى التحتية الإيرانية ومنشآت الطاقة مقابل كل استهداف إيراني لسفينة تعبر المضيق، لا يفضح ادعاءات ترامب عن العبور الآمن للسفن فحسب، وإنما يعكس أيضاً حجم الإرباك الذي تعانيه إدارة الحرب، في ضوء مواصلة القوات العسكرية الإيرانية استهداف السفن المخالفة لترتيبات العبور التي فرضتها طهران، والرد السريع على الاعتداءات بضرب القواعد العسكرية الأمريكية في الأردن ودول الخليج. وهي ردود لاحظ المراقبون دقة إصابتها بما أدى إلى مقتل وإصابة عشرات الجنود والضباط الأمريكيين في تطور تقرأ فيه القيادة العسكرية الأمريكية تطوراً في القدرات الاستخبارية الإيرانية ينطوي على ارتفاع مستوى المخاطر المحدقة بحياة القوات المنتشرة في تلك القواعد العسكرية في إطار مشاركتها في الحرب على إيران.

هذا التطور العسكري المهم مضافاً إليه عدم بروز إشارات تراجع إيراني تدفع الباحثين الغربيين إلى المزيد من اليأس من إمكانية تغيير المعادلات الميدانية والتحذير بالتالي من توسع المأزق الأمريكي في غرب آسيا.

في هذا الإطار، خلص تقييم استخباراتي أمريكي جديد إلى أن الضربات العسكرية المتواصلة لن تؤثر بصورة كبيرة في القرار السياسي الإيراني بما يدفع طهران إلى تخفيف شروطها التفاوضية، على الرغم من توسع العمليات الأمريكية ضدها. وترى وكالات الاستخبارات الأمريكية في تقرير نشرته صحيفة واشنطن بوست أن واشنطن وطهران دخلتا حالة جمود مفتوحة بين السلم والحرب، تتخللها جولات تصعيد دامية وفترات هدوء مؤقتة. ووفقاً للتقييم ذاته، فإن هذا الجمود يضع الرئيس الأمريكي أمام معضلة، إذا لم تحقق الضربات المتصاعدة اختراقاً سياسياً، بينما قد ينطوي أي تصعيد إضافي، خصوصاً إرسال قوات برية، على مخاطر سياسية وعسكرية كبيرة، في ظل الرفض الشعبي للحرب وغياب ضمانات النجاح. وشدد التقييم الذي أعدته وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بصورة أساسية على "قدرة النظام الإيراني على الصمود، على الرغم من خسارة قادة وعتاد عسكري".

وليس بعيداً عن هذا التقييم، حذرت صحيفة "ذا هيل" من أربعة تحديات تواجه ترامب في حال العودة إلى الحرب الشاملة على إيران، وتتعلق المخاطر بمخزونات الذخائر

والمخاوف من الركود العالمي والانتخابات النصفية الأمريكية واستعداء دول الخليج العربية. وأكدت الصحيفة الأمريكية أن شعبية ترامب تأثرت، ولا سيما فيما يتعلق بالاقتصاد، بشكل كبير بتحركاته في إيران، لافتة إلى أن ذلك أثار قلق الجمهوريين من أن يؤدي الصراع في "الشرق الأوسط" إلى عزوف الناخبين في تشرين الثاني المقبل.

إيران طورت قدراتها

القلق الغربي المتصاعد من تداعيات فشل الحرب العدوانية في تحقيق اهدافها اعاد إلى الواجهة السؤال عن أسباب الفشل، مع التأكيد أن الحديث يدور هنا عن أقوى جيوش العالم قدرة عسكرية وتكنولوجية واستخباراتية، بالتعاون والشراكة مع الجيش الإسرائيلي وما توفره دول المنطقة من دعم لوجستي واستخباراتي أيضاً.

في إجابتها عن هذا السؤال كشفت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية عن أن الولايات المتحدة تواجه ما سمتها قيوداً على توسيع غاراتها على إيران بسبب نقص الموارد. ونقلت الصحيفة عن مسؤول أمريكي لم تسمه تأكيده "انخفاض مخزونات الولايات المتحدة من أنظمة الدفاع الجوي والذخائر بعيدة المدى"، وإشارته إلى "وجود قيود على قدرتها على إرسال مزيد من الجنود والطائرات إلى المنطقة بسبب الأضرار الحربية". وقال المسؤول الأمريكي "لا نملك موارد كافية لمواصلة العمليات بشكل آمن، ولا أعتقد أن البيت الأبيض يدرك ذلك".

وفي سياق متصل، تحدث للصحيفة ذاتها "براد بومان"، وهو محارب قديم في الجيش ومدير كبير في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات، عن إن التصدي للصواريخ الإيرانية ألقى بضغوط شديدة على الجيش الأمريكي، وتحديداً وحدات الدفاع الجوي التابعة للجيش، للتكيف بسرعة. ولفت بومان إلى أن القوات المسؤولة عن تشغيل هذه الأنظمة أصبحت من الأكثر انتشاراً وتأدية للخدمة في الجيش بسبب الطبيعة المتغيرة للحرب. وأضاف قائلاً: "كان على هذه الوحدات أن تتحمل مسؤوليات جديدة"، مشيراً إلى انتشار الطائرات بدون طيار قصيرة المدى من جانب إيران والتحدي المتمثل في كشفها وإسقاطها. لافتاً إلى "إن الاستقلالية والذكاء الاصطناعي والإنتاج الضخم تجعل المهمة الصعبة بالأساس لأفراد الدفاع الجوي والصاروخي في الجيش الأمريكي أكثر صعوبة".

إلى ذلك، "أظهرت الهجمات الإيرانية التي استهدفت تسعة مواقع أمريكية في مختلف أنحاء الشرق الأوسط خلال الأسبوعين المنصرمين منذ انهيار وقف إطلاق النار، أن البلاد تحتفظ بقدرتها على إلحاق الضرر بأهداف دقيقة، على الرغم من مزاعم إدارة ترامب المتكررة بأن القدرات العسكرية الإيرانية قد تقلصت أو دُمرت". وبحسب تحليل مرئي أجرته صحيفة نيويورك تايمز للقواعد العسكرية الأمريكية ومواقع أخرى فإن "الضربات ألحقت أضراراً بمساكن المعيشة ومناطق العمل، وملاجئ الطائرات بدون طيار، وأنظمة الرادار، وغيرها من المنشآت". وقد أدى هجوم "استهدف قاعدة موفق السلطي الجوية في الأردن، إلى مقتل ثلاثة جنود أمريكيين وإصابة آخرين". وأفاد مسؤول عسكري للصحيفة بأن "ما يقرب من اثني عشر جندياً أصيبوا أيضاً إصابات بليغة جراء الهجمات الصاروخية وبطائرات بدون طيار التي شنها الإيرانيون في الأردن ودول أخرى هذا الشهر، لدرجة استدعت نقلهم جواً إلى مستشفى عسكري أمريكي في ألمانيا لتلقي العلاج".

خاتمة

بيّن الاسبوعان المنصرمان من الجولة الجديدة من الحرب على إيران، أنها لن تختلف عن سابقتها، وبفعل ما أظهرته طهران من ردود متصاعدة على العدوان، فإن تجدد الحرب ينطوي مخاطر إضافية من شأنها تعميق المأزق الأمريكي وارتفاع أكلاف الحرب بشرياً واقتصادياً.

أزمة هرمز: الاستراتيجية الأمريكية، معضلات ترامب وتداعياتها على إسرائيل

ترجمة وإعداد: حسن سليمان

"التصعيد في الخليج: ما هو الوضع الراهن للصراع المتصاعد بين إيران والولايات المتحدة؟ ما الذي يقف وراء استراتيجية ترامب؟ وكيف ينبغي لإسرائيل أن تتصرف وهي خارج الصراع؟."

دخل الصراع بين الولايات المتحدة وإيران حول مضيق هرمز مرحلةً أكثر خطورةً من ذي قبل. فقد توسعت الخطوة الأمريكية، التي ركزت في البداية على إلحاق الضرر بالبنية التحتية البحرية والعسكرية في منطقة بندر عباس وممارسة ضغوط محددة على طهران، في أعقاب الرد الإيراني على السفن والقواعد الأمريكية ودول الخليج. وتسعى واشنطن إلى الجمع بين الضغط العسكري المتراكم والحفاظ على قناة دبلوماسية مفتوحة؛ لمنع إيران من تحويل هرمز إلى أداة ابتزاز دائمة؛ لاستعادة الردع؛ وإعادة إيران إلى طاولة المفاوضات. وقد ضعف موقفها. مع ذلك، لا يملك الرئيس ترامب خيارات جيدة. فالضغط المحدود لا يُفضي حالياً إلى تنازلات إيرانية، وتوسيع نطاق الحملة قد يُجرّ الولايات المتحدة إلى حرب طويلة الأمد، وقد يُركّز التوصل إلى تسوية سريعة على مضيق هرمز ووقف الهجمات على الأمريكيين، مع تأجيل القضية النووية. من وجهة نظر القدس، فإن استمرار الضغط الأمريكي دون اتفاق يخدم مصالح إسرائيل في هذه المرحلة، لأنه يُضعف القدرات الإيرانية ويُعزز موقفها التفاوضي مع طهران. مع ذلك، لا ينبغي لإسرائيل التسرع في توسيع تدخلها العسكري. أولاً، يجب عليها التوصل إلى تفاهم واضح مع واشنطن بشأن أهداف الحملة ومآلها، وضمان عدم توقف القتال دون رد عسكري أو دبلوماسي ذي مصداقية على البرنامج النووي. وإلا، فقد تنضم إسرائيل إلى الحملة، وتتحمل تكاليفها، ثم تكتشف أن ترامب أوقفها بعد التوصل إلى تسوية محدودة فقط في هرمز.

صورة الوضع

يتضح جلياً على أرض الواقع تصاعد الصراع بين الولايات المتحدة وإيران. بعد الهجمات الإيرانية على السفن في مضيق هرمز، حيث شنت واشنطن هجوماً على إيران، ألغت الامتيازات المتعلقة بصادرات النفط، وجددت عملياتها الأمنية ضد الموانئ الإيرانية. ركزت هذه العمليات في البداية على أنظمة الدفاع الساحلي، ومراكز القيادة، وأنظمة الصواريخ والطائرات المسيّرة، وبنية المراقبة البحرية في منطقة بندر عباس وجزيرة قشم. ووفقاً للقيادة المركزية الأمريكية، كان الهدف هو إلحاق الضرر بالقدرات التي تهدد الملاحة التجارية في المضيق

ردت إيران بتوسيع نطاق هجماتها وتهديداتها. وواصلت عملياتها ضد السفن، وأطلقت صواريخ وطائرات مسيّرة على أهداف أمريكية، وهددت القواعد والبنية التحتية للطاقة ودول الخليج. وبذلك، سعت طهران إلى التأكيد على أن الهجمات على بندر عباس لم تكن تحركاً محلياً يمكن احتواؤه، بل محاولة لحرمانها من أهم أصولها الاستراتيجية المتبقية.

أجبر الرد الإيراني واشنطن على توسيع نطاق عملياتها. حتى قبل الهجوم الإيراني على الأردن، الذي تسبب في خسائر للقوات الأمريكية، زادت الإدارة الأمريكية من نطاق وعمق الهجمات، وبدأت بإرسال طائرات مقاتلة وطائرات تزود بالوقود إضافية إلى المنطقة. لم يكن الهدف من التعزيزات مجرد مواصلة إلحاق الضرر بالبنية التحتية المتعلقة بمضيق هرمز، بل أيضاً منح الرئيس خيارات أوسع للتحرك في حال استمرار إيران في التصعيد. وبالتالي، لم يكن الهجوم على الأردن سبباً مباشراً للتصعيد، ولكنه جعل الرد الأمريكي القوي شبه حتمي، وعزز الحاجة إلى معاقبة إيران واستعادة قوة الردع.

في الوقت نفسه، سعت إيران إلى توسيع نطاق الضغط خارج منطقة الخليج. ووفقاً لتقارير صحفية، طلبت طهران من الحوثيين الاستعداد لمهاجمة السفن في باب المندب إذا هاجمت الولايات المتحدة البنية التحتية للكهرباء في إيران. ونشر الحوثيون صواريخ وطائرات مسيرة بالقرب من الممرات الملاحية في البحر الأحمر، ثم أعلنوا لاحقاً حصاراً بحرياً على السعودية عقب الغارة الجوية السعودية على مطار صنعاء، والتي وافقت عليها واشنطن. ورداً على ذلك، شن الحوثيون هجوماً على مطار أبها الدولي، وهو مركز

نقل رئيسي في منطقة عسير جنوب السعودية، قرب الحدود مع اليمن. يشكل هذا التحرك تهديداً موازياً لشريانَي الطاقة الرئيسيين في المنطقة - مضيق هرمز والمدخل الجنوبي للبحر الأحمر - ويمتد الخطر ليشمل دولاً وأسواقاً تتجاوز نطاق النزاع المباشر.

جاءت هذه التطورات في ظل انهيار مذكرة التفاهم بين إيران والولايات المتحدة، الموقعة في 17 حزيران. كان الهدف من المذكرة فتح مضيق هرمز أمام حركة الملاحة البحرية دون رسوم، وتحديد فترة تفاوض مدتها 60 يوماً لمناقشة ترتيب دائم. إلا أن الغموض الذي يكتنف إدارة المضيق، وتنفيذ الالتزامات، والسياق الإقليمي، سمح لكل طرف بتفسير الاتفاقية بشكل مختلف. فقد رأت واشنطن فيها هدنة مؤقتة تتيح الانتقال إلى اتفاقية أوسع نطاقاً، بينما رأت طهران فيها أساساً لمناقشة دورها في إدارة المضيق والنظام البحري المستقبلي.

ونتيجة لذلك، لم يعد النزاع مقتصراً على حرية الملاحة فحسب. يتعلق الأمر بمسألة من سيضع القواعد في مضيق هرمز: هل سيعود المضيق ممراً دولياً مفتوحاً دون شروط، كما تطالب الولايات المتحدة، أم ستحصل إيران على اعتراف رسمي في إدارة حركة الملاحة، بل وحتى تحصيل رسوم مقابل المرور؟ وقد أنشأت طهران بالفعل هيئة مضيق الخليج الفارسي في إطار سعيها لتحويل سيطرتها العسكرية إلى إطار مؤسسي دائم.

المنطق الاستراتيجي الأمريكي

تستند السياسة الأمريكية الحالية إلى الركائز الرئيسية التالية:

- تجاهل النظام البحري الذي تقوده إيران: الهدف المباشر هو منع طهران من تحويل هرمز إلى أداة ابتزاز دائمة. تسعى واشنطن إلى استعادة مبدأ حرية المرور الآمن، وإبطال أي اتفاق يمنح إيران سلطة أحادية الجانب في المضيق. هذه محاولة لتغيير الوضع الذي نشأ خلال الحرب، حيث أظهرت إيران قدرتها على تقليص حركة الملاحة البحرية بشكل كبير، ورفع تكلفة الصراع على الولايات المتحدة وحلفائها.
- حماية القوات والشراكات، واستعادة الردع: لم يعد النشاط الأمريكي يركز فقط على حماية السفن. يتطلب توسع الهجمات الإيرانية على القواعد العسكرية ودول الخليج، ولا سيما الهجوم الدامي على الأردن، من الإدارة الأمريكية إظهار أن أي هجوم على

الأمريكيين سيُقابل بثمن باهظ. فبدون ردٍّ حاسم، قد تستنتج طهران أن خوف أمريكا من حرب واسعة النطاق يُبرر لها تصعيد الهجمات وإجبار واشنطن على الانسحاب. لذا، يهدف التصعيد الأمريكي أيضاً إلى استعادة الردع والمصداقية الأمريكية لدى القوات البرية ودول الخليج والرأي العام الأمريكي.

- الإكراه من خلال الضغط المتراكم: فالإدارة لا تتوقع بالضرورة وقوع هجوم واحد من شأنه إحداث تغيير في إيران. المنطق يكمن في خلق ضغط متراكم: إضعاف البنية التحتية العسكرية، وتقويض القدرة على تشغيل الصواريخ والطائرات المسيّرة، والحد من صادرات النفط، وفرض الحصار، ورفع تكلفة أي هجوم إضافي. من خلال هذا المزيج، تسعى الإدارة الأمريكية إلى وضع طهران أمام خيارين: إما مواصلة المواجهة في ظل شروط متزايدة الصرامة، أو الموافقة على العودة إلى المفاوضات بعد إضعاف بعض أدوات قوتها. وبهذا المعنى، لا يُنظر إلى القوة كغاية في حد ذاتها، بل كوسيلة لتحسين شروط الاتفاق القادم.
- إبقاء المسار الدبلوماسي مفتوحاً: على الرغم من تصاعد الهجمات، ظل ترامب يُفضّل التوصل إلى اتفاق. حتى بعد انهيار وقف إطلاق النار، واصلت الولايات المتحدة وإيران تبادل الرسائل عبر عُمان وقطر وباكستان، وتركزت المناقشات على حرية المرور الآمن عبر مضيق هرمز. وفي 21 تموز، اقترح الوسطاء وقفاً آخر لإطلاق النار لمدة عشرة أيام في محاولة لإحياء مذكرة التفاهم. يبدو أن النموذج المفضل للرئيس، بالتالي، هو استخدام القوة، وممارسة الضغط، والتوصل إلى اتفاق يمكنه تقديمه على أنه انتصار. فهو غير مهتم، على الأقل في هذه المرحلة، بخوض حرب تهدف إلى غزو إيران أو تغيير النظام بالقوة الأمريكية.
- يتجنب ترامب الالتزام العسكري طويل الأمد، إذ يرغب في الحفاظ على حرية عمل واسعة دون الالتزام بحملة برية أو وجود عسكري طويل الأمد. ويتماشى هذا التفضيل مع وجهة نظره القائلة بأن على الولايات المتحدة استغلال تفوقها العسكري لتحقيق

نتيجة سياسية سريعة، مع تجنب حروب الاستنزاف ومشاريع إعادة تشكيل الدولة المكلفة. ومن هنا يبرز التناقض الجوهري في الاستراتيجية: تسعى واشنطن إلى إجبار إيران على إحداث تغيير جوهري في سلوكها، لكنها ليست بالضرورة مستعدة لدفع الثمن المطلوب إذا لم يكن الضغط الجوي والبحري كافياً.

لماذا تواجه الاستراتيجية الأمريكية صعوبة في تحقيق أهدافها؟

تكمن الصعوبة الرئيسية في التباين في القيمة الاستراتيجية التي توليها الأطراف لمضيق هرمز. فبالنسبة للولايات المتحدة، يمثل المضيق مصلحة هامة تتعلق بحرية الملاحة، والمصداقية الإقليمية، واستقرار أسعار الطاقة. بالنسبة لإيران، يُعدّ هذا أحد آخر موارد القوة التي تُمكّنها من تعويض ضعفها العسكري، والضرر الذي لحق بشبكة وكلائها، والتفوق الواضح للولايات المتحدة في الحرب التقليدية. إن تنازل إيران عن موقعها في المضيق سيُعتبر من قِبل طهران بمثابة خسارة لأهم إنجازاتها الاستراتيجية في الحرب. لذا، فإن رفع الثمن لا يُفضي بالضرورة إلى حل وسط، بل قد يُعزز قناعة القيادة الإيرانية بضرورة التصعيد لإثبات عجز الولايات المتحدة عن ضمان حرية الملاحة أو الاستقرار الإقليمي.

تسعى إيران أيضاً إلى توسيع نطاق الصراع، فبدلاً من الاكتفاء بالتعامل مع الهجمات الأمريكية في المنطقة الساحلية، تُهدد بإنشاء قواعد إضافية، وبنية تحتية للطاقة، وممرات ملاحية. هدفها هو تشتيت الجهود الأمريكية، وزيادة عدد الدول التي تخشى استمرار الحملة، وممارسة ضغوط على واشنطن من قِبل حلفائها. في الوقت نفسه، تواجه دول الخليج نفسها معضلة. هم بحاجة إلى الحماية الأمريكية وفتح مضيق هرمز، لكنهم لا يريدون أن تصبح قواعدهم وموانئهم ومحطات تحلية المياه وبنيتهم التحتية للطاقة أهدافاً. فبالنسبة لهم، لا يُغني استعراض التفوق الأمريكي عن الاستقرار. ومع اتساع نطاق الحملة، قد يُكثّفون جهود الوساطة ويضغطون على ترامب للقبول بتسوية جزئية.

علاوة على ذلك، إذا نفّذ الحوثيون تهديداتهم وألحقوا ضرراً كبيراً بالملاحة في البحر الأحمر وباب المندب، أو وسّعوا نطاق هجماتهم على البنية التحتية الحيوية في

السعودية، فقد تتورط في الصراع أطراف إقليمية أخرى بشكل أعمق. من شأن هذا التطور أن يُفاقم معضلة باكستان، التي تلعب دور الوسيط الرئيسي في الأزمة، والتي تربطها في الوقت نفسه بالرياض اتفاقية دفاع مشترك، تُبقي بموجبها أيضاً على قوات وقدرات عسكرية في المملكة. إذا وسّعت السعودية نشاطها العسكري وسعت للحصول على مساعدة باكستانية، فستجد إسلام آباد صعوبة في الاستمرار في تقديم نفسها كوسيط محايد وذو مصداقية. لن يؤدي هذا بالضرورة إلى توقف جهود الوساطة الأمريكية، ولكنه سيقلل من هامش مناورتها ويزيد من حدة التوتر بين التزامها بأمن السعودية ورغبتها في تجنب المواجهة المباشرة مع إيران.

كما أن البُعد الاقتصادي يُعيق حرية العمل الأمريكية. فانخفاض حركة الملاحة في مضيق هرمز، والمخاوف من تضرر باب المندب، وارتفاع أسعار الطاقة، كلها عوامل تُشكل ضغوطاً سياسية داخلية، لا سيما قبيل انتخابات التجديد النصفي. وبحلول الأسبوع المنتهي في 17 تموز، انخفضت مخزونات النفط في الاحتياطي البترولي الاستراتيجي الأمريكي إلى حوالي 311 مليون برميل، وهو أدنى مستوى لها منذ عام 1983 على الأقل. ويعود هذا الانخفاض إلى ضخ كميات كبيرة من المخزونات خلال الحملة، كجزء من خطة أمريكية ودولية تهدف إلى الحد من تأثير اضطرابات الإمداد على أسعار الطاقة. وقد ساهم ضخ هذه الاحتياطيات، إلى جانب زيادة إنتاج النفط الأمريكي، وانخفاض الطلب الصيني، وتوسيع نطاق استخدام طرق التصدير البديلة، في منع ارتفاع أسعار النفط لفترة طويلة بعد بلوغها ذروتها عند حوالي 126 دولاراً للبرميل. مع ذلك، فإن انخفاض الاحتياطيات يحد تدريجياً من هامش المناورة المتاح للإدارة في حال استمرار الحملة لفترة طويلة أو تفاقم اضطرابات الشحن. لذا، كلما ازداد شعور الرأي العام الأمريكي بتأثير الحرب على أسعار الوقود والتضخم، اتسعت الفجوة بين الرغبة في إظهار العزم والحاجة إلى التوصل إلى تسوية.

المعضلات الأمريكية

في إطار عملية صنع القرار، تواجه الإدارة الأمريكية المعضلات التالية:

- بين الردع والتصعيد الخارج عن السيطرة: بعد الهجوم على الجنود الأمريكيين في الأردن، لم يعد تجنب رد واسع النطاق خياراً معقولاً للإدارة. مع ذلك، فإن أي توسيع لأهداف

الهجوم يزيد من احتمالية رد إيراني آخر. قد يؤدي استهداف البنية التحتية الكهربائية أو منشآت الطاقة أو المواقع الحساسة بشكل خاص إلى أضرار أوسع في دول الخليج وتحقيق التهديد الموجه ضد باب المندب. لذلك، يتعين على الإدارة استخدام قوة كافية لاستعادة الردع، ولكن ليس إلى الحد الذي يحول الحملة إلى حرب إقليمية دون خطة واضحة لإنهائها

- بين الإكراه والتفاوض: تفترض الاستراتيجية الأمريكية أن الضغط العسكري سيعزز فرص التوصل إلى اتفاق. إلا أنه إذا رأت طهران في هذا الضغط محاولةً لحرمانها من أهم أصولها الاستراتيجية، أو تهديداً لبقاء النظام، فقد يؤدي ذلك في الواقع إلى تصلب موقفها وتقليص هامش التسوية. من المفترض أن تعيد القوة إيران إلى طاولة المفاوضات، لكن الإفراط في استخدامها قد يقنعها بأن المفاوضات ليست سوى خطوة أخرى في سبيل إضعافها
- بين مضيق هرمز والبرنامج النووي: تركز الأزمة الراهنة اهتمام الولايات المتحدة على حرية الملاحة، وعلى حماية القوات وأسعار الطاقة. أما البرنامج النووي، الذي كان يُعتبر هدفاً رئيسياً في بداية الحرب، فقد تراجع إلى مرتبة ثانوية في هذه المرحلة. يكمن الخطر في أن يوافق ترامب على اتفاق يفتح مضيق هرمز ويوقف الهجمات على الأمريكيين، ولكنه يؤجل التعامل مع مخزون اليورانيوم المخصب، وإعادة تأهيل المنشآت، والقدرة النووية الإيرانية. وبالتالي، قد يأتي النجاح التكتيكي في الأزمة البحرية على حساب التحدي الاستراتيجي طويل الأمد.
- بين حرية العمل الأمريكية واحتياجات الشراكة: تسعى واشنطن إلى إظهار قدرتها على تحديد وتيرة الحملة، لكنها تعتمد على دول المنطقة في توفير القواعد والدفاع الجوي والاستخبارات والإمداد اللوجستي. كلما زاد تهديد إيران المباشر لهؤلاء الشركاء، زادت مطالبهم بالحماية، لكنهم في الوقت نفسه يحدّون من استعدادهم لدعم توسيع نطاق الحرب. قد تدعم السعودية ودول الخليج إجراءات تضمن الملاحة البحرية، لكنها تعارض

حملة تهدف إلى احتلال الجزر، أو إلحاق أضرار جسيمة بالبنية التحتية المدنية، أو تغيير النظام. هذا التباين يُضيّق الخيارات العملية المتاحة للولايات المتحدة.

- بين تحقيق سريع واتفاق مستقر: يحتاج ترامب إلى إنجاز يُمكن تبريره للرأي العام: فتح المضيق، وخفض أسعار النفط، ووقف الضرر الذي يلحق بالأمريكيين. مع ذلك، قد يُؤدي اتفاق متسرع إلى ترك جذور الأزمة دون حل، ومنح إيران نفوذاً كبيراً في إدارة مضيق هرمز. تكمن المعضلة في الاختيار بين قبول وقف إطلاق نار يُحقق هدوءاً فورياً، أو الإصرار على اتفاق أشمل على حساب استمرار الحرب وخطر التصعيد. في الوقت نفسه، تجلّت أهمية احتياطيات النفط في تصريحات الرئيس ترامب خلال قمة مجموعة السبع، حين ادّعى أن الولايات المتحدة لم يتبقَّ لديها سوى ما يكفي من النفط لأربعة أسابيع تقريباً في احتياطياتها الاستراتيجية.

خيارات العمل الأمريكية

في ضوء ما سبق، فيما يلي مجموعة الخيارات المتاحة أمام الإدارة الأمريكية:

- مواصلة الضغط والهجمات بشكلها الحالي: يمكن للولايات المتحدة مواصلة الهجمات اليومية على إيران ضد أنظمة القيادة والسيطرة، والدفاعات الساحلية، والصواريخ، والطائرات المسيّرة، ومرافق المراقبة، إلى جانب فرض العقوبات وتشديد الحصار. تتمثل ميزة هذا الخيار في الحفاظ على الضغط العسكري دون الحاجة إلى اتخاذ قرار بشأن حملة برية أو احتلال أراضٍ. كما يسمح لترامب بتعديل حدة الهجمات وفقاً للرد الإيراني، وإبقاء باب المفاوضات مفتوحاً. أما عيبه، فهو أن التجربة حتى الآن لا تشير إلى استعداد إيران للتخلي عن موقفها. وقد يتحول استمرار تبادل الهجمات إلى حرب استنزاف يدفع فيها الطرفان ثمناً باهظاً، لكن الواقع الاستراتيجي يبقى على حاله.
- توسيع نطاق الإنفاذ والمرافقة البحرية: ثمة خيار آخر يتمثل في توسيع نطاق الجهود المبذولة في إطار مشروع الحرية لتوفير مرافقة منتظمة للسفن، وزيادة الوجود البحري والجوي، واستهداف أي أصول إيرانية تهدد الملاحة البحرية بشكل منهجي. قد تُضعف

هذه الخطوة قدرة إيران على إنفاذ قواعد العبور، وتُعيد تدريجياً ثقة شركات الشحن. كما ستوضح أن الولايات المتحدة لا تعترف بسلطة وكالة الأمن البحري العامة أو تحصيل إيران للمدفوعات. مع ذلك، فإن مرافقة السفن لفترة طويلة تتطلب موارد كبيرة، ولا تضمن بالضرورة منع الهجمات باستخدام الصواريخ والطائرات المسيّرة والألغام والزوارق الصغيرة. قد ترد إيران بتوسيع نطاق هجماتها على قواعد دول الخليج وبنيتها التحتية، أو بدعم الحوثيين في البحر الأحمر. لذا، فإن أي خطوة تهدف إلى حل أزمة هرمز قد تُوسّع نطاقها لتشمل ساحة إقليمية أخرى.

- الانتقال إلى معركة هجومية واسعة النطاق: ثمة خيار ثالث يتمثل في توسيع قائمة الأهداف بشكل كبير: إلحاق الضرر بالبنية التحتية للطاقة والكهرباء والنقل، وتكثيف الهجمات على بندر عباس والجزر المُطلّة على المضيق، بل وحتى النظر في الاستيلاء المؤقت على مواقع استراتيجية. من شأن هذه الخطوة أن تُلحق ضرراً بالغاً بالقدرات الإيرانية، وتُظهر أن محاولتها السيطرة على هرمز تُهدد مصالحها الحيوية. كما قد تُمنح واشنطن أوراق ضغط جديدة. لكن الثمن باهظ. فالعمليات ضد الجزر أو المنشآت الاستراتيجية قد تتطلب وجوداً برياً، وتُعرّض القوات الأمريكية لخسائر فادحة، وتستلزم وجوداً عسكرياً طويل الأمد. ومن المرجح أن تُؤدي إلى هجمات إيرانية واسعة النطاق على البنية التحتية المدنية في الخليج. وبدون هدف سياسي مُحدد، قد يُؤدي هذا التوسع إلى تصعيد الحرب دون ضمان نتيجة أفضل
- وقف إطلاق نار واتفاق معدل: الخيار الرابع، الذي يُرجّح أن يُفضّله ترامب، هو التوصل إلى وقف جديد لإطلاق النار يضمن حرية المرور الآمن، وإنهاء الهجمات على القوات الأمريكية، وآلية متفق عليها لرصد الحوادث في المضيق والتعامل معها. من شأن هذا الاتفاق أن يوقف التدهور، ويخفض أسعار الطاقة، ويحقق للإدارة الأمريكية إنجازاً سياسياً. كما أنه سيُتيح استئناف المفاوضات بشأن اتفاق أوسع.

تكمن الصعوبة في سد الفجوة المبدئية: فالولايات المتحدة تُطالب بحرية مرور غير مشروطة، بينما تسعى إيران إلى الاعتراف بدورها في إدارة المضيق. إن اتفاقاً غامضاً آخر لن يؤدي إلا إلى تأجيل الأزمة التالية. علاوة على ذلك، فإن اتفاقاً يركز على مضيق هرمز قد يُبقي البرنامج النووي والصواريخ والأنشطة الإقليمية دون حل.

التداعيات على إسرائيل

الوضع الراهن، الذي تواصل فيه الولايات المتحدة ممارسة ضغوط عسكرية على إيران دون التوصل إلى اتفاق، يخدم المصالح الإسرائيلية في هذه المرحلة. فالقتال يُضعف القدرات الإيرانية ويُعزز أدوات الضغط على طهران، دون أن تتحمل إسرائيل التكاليف المباشرة للتصعيد. مع ذلك، فإن قيمة هذا الوضع بالنسبة لإسرائيل تتوقف على ألا تنتهي الحملة باتفاق محدود يركز على مضيق هرمز ووقف الهجمات على القوات الأمريكية دون معالجة القضية النووية.

لذا، ينبغي لإسرائيل الامتناع عن توسيع نطاق تدخلها العسكري ما لم يتم التوصل إلى اتفاق صريح مع واشنطن بشأن أهداف الحملة، والنتيجة النهائية، والشروط التي سيُوقف القتال بموجبها. قد يؤدي انضمام إسرائيل إلى تفاقم الضرر الذي يلحق بإيران، لكنه لا يضمن استمرار ترامب في الحملة حتى التوصل إلى حل للقضية النووية. ثمة خطر يتمثل في دخول إسرائيل في القتال وتحمل تكاليفه، ثم توقف الإدارة الأمريكية أنشطتها بعد التوصل إلى تسوية جزئية بشأن مضيق هرمز.

أي توسيع للتدخل الإسرائيلي يجب أن يكون مشروطاً بالتزام أمريكي بأن الحملة لن تنتهي دون حل عسكري أو دبلوماسي ذي مصداقية للقضية النووية. يجب أن يشمل هذا الحل معالجة مخزون اليورانيوم المخصب، وآلية مراقبة فعالة، ومنع إعادة بناء البنية التحتية. ليس من الضروري حلّ جميع القضايا في اتفاقية واحدة، ولكن لا ينبغي أن تُصبح سلسلة المناورات البحرية بديلاً عن معالجة التهديد النووي.

يتمثل دور إسرائيل الرئيسي في استغلال المرحلة الحالية للتأثير على أهداف واشنطن، وعدم التسرّع في الانضمام إلى الحملة قبل أن يتضح ما يُعتبر إنجازاً كافياً وما يضمن عدم استمرار القتال قبل معالجة التهديد النووي.

خلاصة

تسعى الاستراتيجية الأمريكية إلى استخدام التفوق العسكري لحرمان إيران من مكاسبها في مضيق هرمز وإعادتها إلى طاولة المفاوضات. إلا أن القيمة التي توليها طهران لسيطرتها على المضيق، وقدرتها على توسيع نطاق الحملة، والضرر الذي يلحق بالقوات الأمريكية، تُقلل من فرص نجاح الضغط المحدود.

في الواقع، لا يملك ترامب خيارات جيدة. فاستمرار الهجمات قد يتحول إلى حرب استنزاف؛ والتوسع الكبير قد يجر الولايات المتحدة إلى حملة لا ترغب بها؛ والتسوية السريعة قد تمنح إيران بعض المكاسب التي تسعى إلى ترسيخها. لذلك، وفي ظل عدم استعداد كلا الجانبين للتراجع، فإن الاتجاه المرجح على المدى القريب هو تصعيد الصراع.

مع ذلك، يبقى ميل ترامب الأساسي هو التوصل إلى اتفاق، لا خوض حرب حتى النهاية. فإذا ما سنحت له فرصة دبلوماسية تسمح له بتقديم استئناف الملاحة ووقف الهجمات على الأمريكيين كإنجاز، فبإمكانه الانتقال سريعاً من التصعيد إلى التسوية. يتمثل التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة في ضمان ألا يكون الاتفاق القادم مجرد هدنة أخرى، بل إطاراً يمنع إيران من الاستمرار في فرض قواعد اللعبة، ويعالج أيضاً القضايا التي تم تجاهلها خلال أزمة هرمز، وعلى رأسها البرنامج النووي.

أما بالنسبة لإسرائيل، فالمهمة ليست دفع الإدارة الأمريكية إلى حرب أوسع، بل التأثير على أهدافها وشروط إنهائها. يجب أن تكون إسرائيل مستعدة لكل من التصعيد المحتمل، ولتحرك ترامب السريع نحو اتفاق، وأن تضمن في كلتا الحالتين عدم تهميش التهديد النووي ومصالحها الاستراتيجية.

معهد أبحاث الأمن القومي - إلداد شابيط (انضم إلى المعهد في أوائل عام 2017 كباحث أول، بعد مسيرة مهنية طويلة في شعبة الاستخبارات ومكتب رئيس الوزراء في تل أبيب)، جيسي واينبرغ (باحث في معهد دراسات الأمن القومي، ويعمل كمنسق لبرنامج البحث "إسرائيل والقوى العالمية")

حول التطورات السياسية في لبنان والمنطقة

تعليقاً على التطورات السياسية في لبنان والمنطقة أصدر تجمع العلماء المسلمين البيان التالي:

تصر السلطة السياسية في لبنان على التمادي في مسلسل تنازلاتها عن السيادة الوطنية وتضرب بعرض الحائط إرادة أغلبية اللبنانيين الذين عبروا بمختلف طوائفهم وأحزابهم عن رفضهم لاتفاق الإطار الذي وافقت فيه السلطة على إطلاق يد العدو الصهيوني في ممارسة عملية الهدم المنهجي لقرى الجنوب لجعل إمكانية العودة مستحيلة بل لتهيئة الأرضية لإقامة مستوطنات على طول الشريط الحدودي ضمن مشروع عبرت عنه جماعات المستوطنين في أكثر من مناسبة.

وقام رئيس السلطة السياسية العماد جوزاف عون بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية واعداً بأنه سيأتي من هناك بالحلول الناجعة وتحقيق الانسحاب وبوقف الاعتداءات فإذا به يأتينا بخفي حنين وصورة هزلية لا تعبر عن شيء بل وجّه في هذا اللقاء الرئيس دونالد ترامب إهانة ما كان يجوز لرئيس السلطة السكوت عنها وهي أن تقوم الدولة السورية بالتدخل في لبنان للقضاء على حزب لبناني عريق كان له شرف تحرير لبنان فأين هي السيادة والكرامة الوطنية؟!!!.

إننا من تجمع العلماء المسلمين وبعد دراسة للأوضاع نعلن ما يلي:

أولاً: نعتبر أن زيارة رئيس السلطة السياسية في لبنان للولايات المتحدة الأمريكية كانت فاشلة بكل المعايير فلم تجلب الانسحاب ولم توقف الاعتداءات ولم يطرح رئيس السلطة المطالب اللبنانية المحقة ولا ندري ما هو مضمون المباحثات السرية وما هي الالتزامات التي قدمت فيها ولعلها تكون أفظع مما أعلن.

ثانياً: نحن في تجمع العلماء المسلمين نعتبر أن تسلل رئيس الحكومة نواف سلام إلى زوطر الغربية ما كانت لتتم لولا تضحيات المقاومين وهي لم تؤدِّ إلى إدخال المواطنين إليها علماً أن المناطق التجريبية هي ليست انسحاباً من قرى محتلة بل هي سماح بدخول الجيش إلى قرى محررة كي يشتبك مع المواطنين والمقاومين.

ثالثاً: نؤكد في تجمع العلماء المسلمين أننا نرفض المفاوضات المباشرة مع العدو الصهيوني ونعتبر أن اتفاق الإطار يفتقر إلى الميثاقية والدستورية وهو غير موجود فعلاً وسيكون مصيره الفشل ونعتبر أن الحل هو في العودة إلى تطبيق القرار 1701 والانسحاب الكامل للعدو الصهيوني وبعد ذلك تبحث مسألة سلاح المقاومة ضمن مؤتمر وطني لدراسة استراتيجية الدفاع الوطني.

رابعاً: نعلن تأييدنا للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دفاعها عن نفسها من الهجمات الأمريكية التي نقضت الاتفاق ونطالب الدول العربية بأن تطلب من أمريكا إخلاء معسكراتها وقواعدها كي تأمن من الصواريخ الإيرانية ونطالب القوى والأحزاب العربية بأن تحذو حذو الجمعيات الأردنية في مطالبة دولها بإخلاء القواعد الأمريكية التي أدخلتها في معارك لا مصلحة لها فيها.

التجمع يشارك في إطلاق أول كتاب عن السيد مجتبى الخامنئي

شهد متحف الدفاع المقدس إزاحة الستار عن كتاب "ظهور نظام عالمي جديد" يتضمن قصة حياة وأفكار سماحة قائد الثورة آية الله السيد مجتبى الخامنئي (حفظه الله) الذي نشرته مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام القائد السيد علي الخامنئي (قدس سره) حيث أقيم حفل إطلاق الكتاب في متحف الدفاع المقدس في طهران.

حضر الحفل الذي أقيم برعاية وحضور رئيس السلطة القضائية آية الله الشيخ غلام حسين محسني إيجئي، وفد تجمع العلماء المسلمين في لبنان المشارك في مراسم تشييع الإمام الخامنئي وعلماء وضيوف ومفكرون من محور المقاومة والدول التي شاركت في مراسم تشييع الإمام الخامنئي.

وقال آية الله الشيخ إيجئي في كلمة له في هذا الحفل إن سماحة الإمام الشهيد آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (رضوان الله عليه) لم يكن من الشعب الإيراني والأمة الإسلامية فحسب بل كان من جميع أحرار العالم وجاهد كالأنبياء العظام في سبيل تحقيق العدالة ونصرة المظلومين ومجابهة الظلمة والطواغيت وفي النهاية استشهد على يد أشقى الأشقياء.

وشكر الشيخ إيجئي باسم الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقيادتها وشعبها كل المشاركين في مراسم تشييع الإمام الذين حضروا هذه المراسم للتعبير عن محبهم وتقديرهم ووفائهم للإمام الشهيد.

من ناحيته ألقى نائب رئيس تجمع العلماء المسلمين في لبنان الشيخ الدكتور زهير الجعيد باسم التجمع كلمة عبر فيها عن أن هذا المصاب هو مصاب الأمة كلها وليس إيران فقط وأن الإمام الخامنئي (قدس سره) كان القائد والملهم والأمل لكل الأحرار والمستضعفين والمظلومين.

وتحدث الشيخ الجعيد عن إيمان الإمام الشهيد الخامنئي بوحدة الأمة وعدم تفريقه بين السنة والشيعة وأنه كان يعتبر تجمع العلماء المسلمين في لبنان هو الانموذج الأصلح والأمثل والأفضل للتقارب والوحدة حيث كان يشيد في كل لقاءات الإمام الخامنئي بالتجمع بفرادة هذه التجربة ونجاحها والتعويل عليها وبتقديره للتجمع وعلمائه.

وأكد الشيخ الجعيد باسم التجمع وقوف كل علماء التجمع خلف الإمام السيد مجتبى الخامنئي حفظه الله وتحت قيادته كما كانوا خلف والده الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي، وأنهم سيبقون أحد أبرز دعائم المقاومة والوحدة الإسلامية في لبنان وفلسطين والعالم.

التجمع وحركة الأمة مستمران بتوزيع الوجبات الغذائيّة

يواصل تجمع العلماء المسلمين في لبنان، وحركة الأمة، وفي إطار توسيع جهودهما الإنسانية، بتأمين الوجبات الغذائية للعائلات المتعففة، لاسيما التي تضررت بيوتها على أثر العدوان الصهيوني.

وقد قامت اللجنة الاجتماعية في حركة الأمة بتجهيز وتوزيع الوجبات الغذائية الساخنة وربطات خبز على المنازل في العاصمة بيروت وضاحيتها.

في الجرح وقتٌ للنَّزيفْ

أول الكلام

بقلم: غسان عبد الله

"أقلِّبُ أوراقي.. أحذيةٌ تمشي حافيةَ القدمينِ.. حناجرُ تتعكَّزُ فوق عصيٍّ من أصواتٍ مبحوحَةْ.. وسحالٍ سوداءُ تنامُ على كلّ سريرْ.. أقلِّبُ أوراقي.. أشرعةٌ لا تنوي العودَة وسماءُ تمطرُ قيظاً ودموعُ تجري كدفق العيون.. مساءُ ينقصُه رونقُ الأبناءِ.. وضحكاتُ أيمن.. أطفالُ لا تغريهمْ كلُّ الألعابْ.. ينقصُهُم أنت وبعضُ من آيات الكتابْ.."

أقلِّبُ أوراقي.. أيدٍ تكتبُ بأظافرها.. أقلامٌ تصبحُ أعوادَ ثقابٍ.. أوراقُ بيضُ تهربُ من مالئِها.. دقّات تتسابَقُ كي تمسكَ رأسَ الرُّعْبِ.. نزيفُ يرنو للمبضع مبتسماً.. أقلِّبُ أوراقي وأراني المقتولْ.. أحلفُ بالرّوح بأنَّ القاتلَ ما كانَ المسؤولْ!!.. أتركُ في باحةِ الصمتِ تمتماتي المكبوتةَ دهراً.. أداري الأصحاب من وجع الارتياب.. وأدرأ الارتيابَ في حضرة الأوجاع ولا يتركني الأصحاب..

أتركُ روحَيَ على هودج الأحلام المزعومةِ فتُدركُني الكوابيسُ.. أقلِّبُ كفَّي حسرةً على ما فاتني من أُنس الحياةِ فلا يرثيني سوى قلبي المتلاشي خلف نبضٍ كليلٍ يذوي في غيهب الغيبِ خلفَ جحافل الأحزان.. يتلفَّت الأصحابُ: مَنْ منَّا رَحَلْ؟ مَنْ قد توفّاه الوجَلْ؟.. أو من قَرَأَ باسم الذي جعلَ السَّوادَ بنبضه كحلاً تداريه المقلْ؟.. أو من كَتَبْ بعضاً من اللّهب.. النزيفَ أو انتَحَبْ.. فوق الفضاءِ الرَّحبِ في ورقٍ يطالبُ بالسّكوتْ؟ مَنْ بيننا.. مِنْ بعد هذا الموت يمكن أن يموتَ؟ كما يموتُ الصّامتونْ؟.

للصمت نَزْعٌ قبل بدءِ العاصفَةْ وترابُها رئةٌ تقاسَمَها الدّخانْ.. - ارشُفْ رحيقَكَ من رماد المنفضَةْ.. في الروح أعقابٌ تطالبُ بانتظارِ مرغمٍ يرنو إلى الوقت المكبّل بالمزيدِ.. فمن يريدْ؟ - أنا لا أريدْ لكنَّني ملقىً على أرضٍ تستفيقُ على صديدْ.

قد تَهَبُ المسافةَ دمعةً تغدو حنيناً مفعماً.. تغدو صلاةً.. نيزكاً.. بحراً يضمّ نوارسَ الحلم القديم فلا تخفْ.. في الجرح وقتٌ للنَّزيفْ يا صحبُ.. مَنْ منَّا اختبأ في الجرح مختالاً بأنّ الروح لا تخشى الصَّدأ؟ أدري بأنَّكَ صرتَ تشكو.. لا بيتَ ولا أولادَ ولا رفاقَ ولا رغيفَ ولا

كتابَ ولا قلمْ.. فالصّمت محبرة العَدَمْ.. وقتُ سَأمْ.. ألمُ يغلّفه النّعاسُ فلا يفيقُ ولا يبوحُ ولا ينوحُ ولا يصيحُ.. ولا يولّد فيكَ غيرَ العجز عن وجع التّورّطِ في انفلات الأسئلَةْ.. والوقتُ أجداثُ يعرّيها السّواد المرُّ في الفنجان تقرأه امرأة شعثاءُ.. تزعمُ أنّها تدري بما يجري فتغفو واقفاً وتسدّ أجفانَ العيونِ تصمّ أذنَكَ عن سواها.. قد تراوغُ كربةَ الأزماتِ.. قد تزدانُ بالتّصديق.. تفعمُ حلمَ يقظتك المريرةِ.. لا مجيءَ سوى المحال.. ولا محالَ سوى انتظاركَ للوعودْ.. خَدرُ بأعضاءِ الهواءِ المستقرّ على رئات الاكتئابْ.. والوقتُ بابْ.. ترنو إليه مداعباً تحكي له عن نورس في الأفق عن نخلٍ سوى نخل الجنوب.. وعنْ سماءٍ غير أرضكَ.. عن رغيفٍ غير خبز الوقتِ.. قد يبدو خرافَةْ.

وترى الرّتاجَ مواراً.. يغريكَ أنْ تمضي وقد يدعوكَ أن تحكي قليلاً أو كثيراً عن جراحٍ لاذعاتٍ.. عن حياةٍ من جناحاتٍ يبلّلها الأرقْ.. عن جنّة ليستْ هناكْ لكنّها - في أفقكَ العطشان - قد تبدو هناكْ.. في السرّ تضحكُ من سذاجةِ بابكَ المزعوم.. لن تَدَعَ المسافةَ تنفلتْ فتلمّ شيئاً من بقاياك القليلةِ: صورةً لحبيبةٍ هجَرَتْ.. وريقاتٍ صغاراً كنتَ فيها شاعراً.. ورقَ الجدِّ المرحوم.. آخرَ ما اشتراهُ جارُكَ قبلَ رحيلِه الدّامي إلى المنفى.. دعاءَ الوالدَةْ..

تتعمّد السّيرَ الوئيدَ بشارع الحيِّ القديم.. حيثُ نشأتُكَ الأولى.. وحيثُ أولادُكَ يكبرون.. لعلَّ طيناً يستقرّ على الحذاء إلى الأبدْ فتمرّغُ النّبضاتِ فيهِ إذا نزّ فيها الحنينْ.. أسفي عليكْ.. فالبابُ ليس مواراً.. قد أحكموا فيه الرّتاجْ وتقاسموا المزلاجَ كلٌّ صَوْبَ ناحيةٍ يصولْ.. الصّمتُ من ذهبٍ.. فمن منّا تورّط ذاتَ يومٍ أن يقولْ؟ قل ما تشاءْ.. كن حاذقاً لتحرّفَ الأسماءَ تحريفاً بسيطاً لا يهدّد بالفناءْ.. يتساءلون ومن نوى منّا السّكوتَ فحلَّ ضيفاً - دون أن يدري لماذا - في مضيفٍ داكنٍ يكتظّ بالنّفَس البطيءِ على شفاه القائلينْ.. لا لست آخرَهُمْ.. ولست الأوّلَ المنفيَّ في جرح الغيابْ.. بما يسمّيه الحنينُ نوازعَ الفرح القديمْ.. الأمسياتُ وئيدةُ والزّيتُ في الفانوس منتحبُ النّشيجْ وسماجةُ المذياع حشرجةُ تشاكسُ رهْفَةَ الأذنِ اللّصيقة بالجدارْ.. الوقتُ يقرأُ ما تيسّر من غبار العاصفَةْ وصراخُ أفئدةٍ يمزّق وحشةَ العين الّتي نسيتْ تواشيحَ الهطولْ.. مدَدُ يطولْ.. وسكينةُ الإسفلتِ فتّتها الفضولْ.. والأرضُ مُشْرعَةُ شبابيكَ التّرقّبِ للفصولْ.. هيَ هُزْأةُ الأشياءِ.. مَن منّا هداه القلبُ - من خجلٍ - لأن ينسى نضوجَ الزّيتِ من كبدِ السّماءْ؟ هي صُفرَةُ زرقاءُ

تعتمرُ الوجوهَ وأسودُ لونُ الإزار وأحمرُ لونُ النّضوج على مخدَّات التُّرابِ.. ونيزكُ من كلِّ ألوانِ التَّوهّج قد غدا شمساً بجوفِ اللّيل يصرخُ: لا بقاءْ... يتلفَّتُ الأصحابُ.. مَنْ مِنَّا احتَمَلَ في اللّيل أن يغدو لصيقَ فجيعةٍ ويفيقَ عند الصّبح دونَ توجّعٍ صافي المُقَلْ؟.. لكَ أنْ تموتَ كما يموتُ الميّتونْ احفرْ بكفِّكَ نعشَكَ الغبشيَّ.. لا تسألْ عن التَّاريخ.. ((ولتكتُبْ وصيَّتكَ الأخيرَةَ)).. لا تقُلْ كفني هناكْ..

امسَحْ حروفَ رخامةِ الماضي عن الأجلِ المُمِضّ.. ولا تُنادِ على الجميلةِ أن تكونَ رفيقةَ الرّوح الأخيرةَ لا تسَلْ عن قبر جدِّكَ.. كي تنامَ مع الجدودْ يا صحبُ قولوا: لا مجيءَ سوى الغيابِ.. ولا غيابَ سوى مجيءِ الذِّكرياتِ على فِراشٍ من ضبابِ الأمنياتِ.. هو الممات ردأُنا اليوميُّ.. لحنُ فراغنا.. صوتُ التَّخطّي في تكسُّرنا.. انتباهةُ أضلع التّابوتِ للنَّفَس الأخير.. ولاحتضانِ المتعبينْ.. يتساءَلُ الأصحابُ: مَنْ منّا سيلغي كلَّ أوراقِ التَّوجُّعِ إذْ يعيشُ بلا حنينْ.

حبر على ورق

بقلم: غسان عبد الله

مجابهة

عندما ترمونني برصاصةٍ.. من أيّ جهةٍ كانتْ.. فإنّ الرصاصةَ ستجيئ في صدري حتماً.. لأنّ الأحداث التي عشتُها جعلتْ من صدري دائريّاً.

توازن

نحنُ صحراويّونَ بلا رملٍ.. وبحريّونَ بلا ماء.. لأنّ البحرَ في مدينتِنا فاتحُ بابهُ على مصراعيه وزرقتُهُ باديةٌ على أجسادِنا.. ورطوبتُهُ نافذةٌ في أحاديثنا بيدَ أن الصحراء هي الأخرى بنتْ لنا أكواخاً من هجيرها ورسمتْ على وجوهِنا إصفرارَ الرياح نحنُ أبناء الزرقةِ وأبناء الهجير لا نريدُ شيئاً فقط نريدُ مزجَ الألوان نريدُ أن نتوازن!

أمريكا

أنا لا أخافُ أمريكا.. أمريكا شجرةٌ بلا جذور.. وحتى عندما تلتفّ عليّ أغصانُها الوحشيّة.. وحين تقطعُ أوراقي وأغصاني أنيابُها المثمرةُ سمّاً.. سأحاربُها بجذوري.. جذوري العاليةِ أبداً.

أكل

حين بكى البحرُ رفعْنا قمصاننا أشرعةً ونصبْنا أجسادنا صواريَ وأسكرنا الريحَ حدّ الثمالةِ بزبدِ أخطائنا وربطنا على خصرها لترقصَ لنا رقصةَ الأماكنِ المتباعدة الأماكنِ الفارغة كي تأخذنا بعيداً عن صخورِ خطايانا لأنّ الأسماك حينَ هاجمتنْا أحسَسْنا بآدميتها وإن البحرَ حين بكى لمْ يبكِ على موتانا الذين دفنّاهم فيه لكنّهُ بكى علينا ونحنُ نأكلُ بعضَنا عن طريقِ الأسماك.

روائع الشعر العربي

الحسين بن مطير الأسدي ـ لا شيء يدوم

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُس ... وَيَـوْمُ نَعِيمٍ فيـهِ لِلنّاسِ أَنْعُـمُ
فَيَمْطُرُ يَوْمَ الجُودِ مِـنْ كَفِّهِ النَّدَى ... وَيَمْطُرُ يَوْمَ البَأسِ مِنْ كَفـهِ الدَّمُ
وَلَـوْ أَنَّ يَوْمَ البُؤْسِ خَلَّى عِقَـابَهُ ... عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الأَرْضِ مُجْـرِمُ
وَلَـوْ أَنَّ يَوْمَ البُؤْسِ خَلَّـى عِقَـابَهُ عَلَى ... الأَرْضِ لَمْ يُصبِحْ عَلَى الأَرْضِ مُعْدِمُ مُعْدِمُ

ابن رشيق القيرواني ـ مدحٌ وهجاء

قولوا لمن قال إنَّ هجوي ... يفوق مدحي بلا امتراءِ
صَدَقْتَ يا مانعاً ثوابي ... منه ويا قاطعاً رجائي
كآبةُ الكـذْب في مَدِيحي ... ورَوْنَقُ الصِّدْق في هِجَائِي

ابن العطَّار الإشبيلي ـ بوح الهوى

كَتَمتُ الهَوى صَبراً وَلَم أرضَ بِالعُذْرِ ... وَأسكَنتُه بَينَ الجَوانِحِ وَالصدْرِ
فَزادَ اِشـتِياقي وَاستَهَلّت مَدامِعٌ ... وَباحت خَفِيّاتُ الفُؤادِ وَلَم أدْرِ
فَوَ اللهِ أُخفي الحُبَّ بَعدَ اِفتِضاحِهِ ... وَلو حُطَّ عِندَ الكاتِمينَ لَهُ قَدْري
فَيَومي إِذا ما بُحتُ عِيدٌ وَلَيلَتي ... بِذِكراي مَن أحبَبتُه لَيلَةُ القدرِ

عبد مناف بن عبد المطَّلب ـ الصبر على البلاء

إصبِرَن يا بُنَـيَّ فَالصَبرُ أحجى ... كُلُّ حَيٍّ مَصيرُهُ لِشَعوبِ
قَد بَلِيَ الصَبرُ وَالبَلاءُ شَديدُ ... لِفِداءِ الحَبيبِ وَابنِ الحَبيبِ
النَبِيِّ الأَغَرِّ ذي الحَسَبِ الثاقِبِ ... وَالباعِ وَالكَريمِ النَجيبِ
إِن تُصِبكَ المَنونُ فَالنَبلُ تَتَرى ... فَمُصيبٌ مِنها وَغَيرُ مُصيبِ
كُلُّ حَيٍّ وَإِن تَمَلّى بِعُمرٍ ... آخِذٌ مِن مَذاقِها بِنَصيبِ

عبرة الكلمات

بقلم: غسان عبد الله

الشهيد

عندما غادروا دمهُ سجدتْ نخلةٌ كي تقبّل جبهتهُ.. والجراحَ التي غَسَلَتْ حُزْنَها.. فزّ من قبرهِ والنجوم تسوّرهُ.. انتصبتْ.. رفعتْ تاجها تقتفي ظلّه في حبيبات الندى.. عانقته بلاداً من الرفض.. عانق موال منديلها سعفاً.. لمستْ روحُه روحَها.. أشرقتْ: لن يكون انحنائي لغيركَ.. صافَحَهُ وعدُها.. رسمتْ مقلتاهُ تفاصيلُها ثم... ط.. ا.. ر.

أممٌ.. لا أمم

يكتُبُ الجرحُ.. في ألفِ موسم عشقٍ على باب غزّة والضفة.. وأمكنةٍ كلُّها جسدي: باسم تلك الدماء التي أهرقتْ.. والدماء التي سوف تهرقُ.. باسم البلادِ التي سُلبتْ.. والبلادِ التي... آهٍ.. إني براءٌ - إلى الدم والجُلَّنار - من سقف صبّارنا المتبرّج بالإثمِ والصولجانِ وعدوى النّفار.. ومن... من فتاوى.. وقممٍ أممٍ.. لا أممْ.. تجيز الجنوح إلى الخوفِ والصلح والانحناء

دم الشهيد

ودمٌ للركبْ.. يمتطي صهوة من غضبْ.. هل هو شاعر المهدِ.. أم شاعر اللحدِ.. أم...؟ الشهيدُ البالغُ الشَّهدْ؟؟.. أم ألقُ الطالعينَ إلى فجرهم منذُ آلاف الحِقَبْ.. مرّ في حقلنا سِفْراً من قصب.. ودوالي من تعب.. زرع النجيعَ أقنيةً.. ضَمُرَتْ سنبلةٌ.. وتهاوى الرُّطبْ.. أيها الريح: هل يستوي في عيون السالكينَ من يدفعُ الخوف عن طفلهِ.. أو دينهِ أو أرضهِ.. بالذي صَلَبَ الطِّفْلَ في تمتمات اللهبْ؟.

بقاء

رحلتْ مدني فاحترفتُ البقاء.. كلّهم رحلوا يا مودّعُ.. وها أنا ذا واقفٌ بانتظار الدروب آخرَ الراحلين.. كان الشجر أودعني اخضراراً وجذراً عميقاً.. والسماءُ التي رحلتْ.. أودعتني بريقا كلّهم رحلوا يا مودّعُ كلُّ العيون نظرتْ نحونا بارتيابْ وبقينا أنا وصديقي الترابْ.

مدارسُ علم الكلام الإسلامي

العقلُ والنقلُ والتّأويل بين المُعتزلةِ والأشاعرةِ والشّيعةِ الإماميّة

بقلم: نبيل علي صالح / كاتب وباحث سوري

"لم يعرف عصرُ الصحابة والتابعين نقاشات كلامية موسعة حول طبيعة العقل وعلاقته بالنقل. فقد كانت النصوص الدينية تُفهم ببساطة ضمن السياق اللغوي والثقافي للمجتمع آنذاك، وضمن واقع الحياة الاجتماعية والسياسية البسيطة البعيدة عن التعقيد الحضري.."

ولكن مع انطلاقة الفتوحات، والتوسع في رقعة الدولة الإسلامية، أواخر العصر الأموي وبدايات العصر العباسي - ودخول أمم وشعوب جديدة تحمل ثقافات وفلسفات ورؤى كلامية ولاهوتية مختلفة ومتنوعة - بدأت تظهر العديد من الإشكاليات العقدية التي لم تكن مطروحة من قبل.. وبرزت تساؤلات كثيرة من قبيل: كيف نفهمُ صفات الله؟! وهل الإنسانُ حرٌّ في أفعاله أم مجبور عليها؟! وما حكم مرتكب الكبيرة؟ وهل القرآن مخلوق أم قديم؟! وما معنى الشر والخير؟ ولماذا خلق الله تعالى بعض الناس وهم مرضى أو مشوهون؟! أين هذا من العدل الإلهي؟ وماذا يعني التحسين والتقبيح؟!..

هذه الأسئلة وغيرها شكلت مادة للجدل الفكري-الكلامي، أسفرت عن ظهور مدارس واتجاهات فكرية متباينة، حاولت كل منها طرح إجاباتها ومعرفتها حول تلك الإشكاليات وغيرها من التساؤلات والهواجس الفكرية والمعرفية المتصلة بالعقل والنقل والتأويل وغيرها، وكان أبرزها مدرسة المعتزلة التي اتخذت من العقل مرجعية أساسية، ومدرسة الأشاعرة التي سعت إلى موازنة العقل بالنقل (رغم أنها مالت إلى كفة النقل أكثر فيما يشبه إقصاء العقل كمرجعية تفكير وتأويل)، فضلاً عن المدرسة الإمامية الشيعية التي كان لها موقفها المتميز في هذه القضايا، رسخته انطلاقاً من منظومتها العقدية التي تقوم على فكر خط أهل البيت(ع)، كونهم امتداد النبوة والرسالة في حركة الحياة.

في هذا المقال سنستعرض موقف كل مدرسة من العقل، وطبيعة الخلاف بينها، مع التركيز بشكل خاص على الرؤية الشيعية التي تتقاربُ مع المعتزلة في بعض، وتبتعد عنها في مسائل أخرى.

أولاً- المعتزلةُ.. العقلُ والعدل الإلهي:

نشأت مدرسة المعتزلة في البصرة أوائل القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) على يد "واصل بن عطاء" (توفي: 131هـ/748م).. تتلمذ واصل على يد الحسن البصري. ويعود سبب تسميتهم -بحسب ما تقول الرواية الشهيرة- إلى خلاف واصل مع شيخه حول حكم مرتكب الكبيرة، حيث قال بـ"منزلة بين المنزلتين" ثم اعتزل المجلس، فقيل: "اعتزل واصل". لكن بعض الباحثين يرون أن السبب الأعمق كان سياسياً وثقافياً. فالدولة العباسية كانت في بداياتها بحاجة إلى مذهب كلامي قوي يرد على الملحدين والزنادقة، ويواجه الفرق المتطرفة مثل الخوارج والمجسّمة، ويقدم إجابات عقلية مقنعة لأسئلة العصر بعد الفتوحات والاختلاط مع حضارات ومجتمعات جديدة..

اتفق المعتزلة على خمسة أصول أساسية:

- التوحيد: إثبات وحدانية الله وتنزيهه التام، بنفي أي مشابهة أو تجسيم. وهم يرون أن صفاته تعالى عين ذاته، ولا صفات زائدة، حتى لا يشاركه شيءٌ في القدم.

- العدل: الله عادل لا يفعل القبيح ولا يظلم أحداً. والإنسان حر في أفعاله، ولولا ذلك لكان الله ظالماً إذا كلفه بما لا يطيق.

- الوعد والوعيد: فالله يفي بوعده ووعيده، فلا شفاعة لمرتكب الكبيرة بدون توبة.

- المنزلة بين المنزلتين: مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً، بل في منزلة وسط.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو واجب على كل مكلف بحسب استطاعته.

من هنا نرى أن أهم ما كان يميز المعتزلة حقاً هو مكانة العقل العالية وأهميته لديهم. حيث اعتبروه المرجع الأول في فهم الدين وتأويل نصوصه، وبالتالي فالعقل يُقدَّم على ظاهر النص إذا تعارضا. وكانوا يقولون بالفكر قبل السمع، ويرون أن معرفة الله واجبة عقلياً حتى لو لم يأتِ شرع، وأن الحُسْن والقُبح يُعرفان بالعقل. بهذا أصبحوا رواد الفكر العقلاني في الإسلام، وهم ما زالوا يُوصفون أحياناً بـــ "فلاسفة الإسلام".

ثانياً- الأشاعرة.. التوفيق بين العقل والنقل:

ظهرت هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث الهجري على يد أبي الحسن الأشعري (توفي: 324هـ/936م). كان أبو الحسن في البداية معتزلياً، لكنه انفصل عنهم بعد

خلاف حول مسألة "أخوة الثلاثة" التي رآها غير منسجمة مع العدل الإلهي. سعى الأشعري إلى منهج وسطي يجمع بين العقل والنقل، بعيداً عن العقلانية المطلقة والجمود الظاهري. وكان هدفه الرئيسي الدفاع عن عقيدة أهل السنة ضد المعتزلة من جهة، وضد المجسمة والمشبهة من جهة أخرى.

أبرز نقاط الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة:

- العقل: يؤكد المعتزلة أن العقل هو مرجع الأول، أما الأشاعرة فينظرون للعقل كمجرد أداة لفهم النص لا حاكم عليه.
- صفات الله: المعتزلة ينفون الصفات الزائدة، والأشاعرة يثبتون سبع صفات قائمة بالذات.
- القرآن: المعتزلة يقولون إنه مخلوق، والأشاعرة يقولون إنه كلام الله غير مخلوق.
- أفعال العباد: المعتزلة يرونها صادرةً عن حرية الإنسان، والأشاعرة يرون أن الله هو خالقها والإنسان مجرد مكتسب لها.
- التكليف بما لا يطاق: مستحيل عند المعتزلة، جائز عند الأشاعرة.

وعلى الرغم من قوة المعتزلة المنطقية في البداية، تراجع نفوذهم وانحسر تدريجياً. وقد أسهمت في ذلك "محنة خلق القرآن" التي فرضتها الدولةُ بالقوة، مع صعود الأشاعرة عبر المدارس النظامية والأزهر، وارتباطهم بالمذاهب الفقهية الكبرى، بالإضافة إلى الهجمات المتعددة عليهم.

وهكذا مع مرور الزمن، أصبح المذهب الأشعري هو التيار الكلامي المهيمن في العالم الإسلامي، متجاوزاً في نفوذه المذهب المعتزلي الذي تراجع إلى مجرد مذهب نخبوي نظري.

والواضح أن نفوذ المعتزلة لم يتراجع أو ينحسر لسبب واحد، بل بسبب مزيج من الهزيمة الفكرية، الخسارة السياسية، ضعف القاعدة الجماهيرية، وقلة الإنتاج المجدد. لقد تحولوا من مذهب مدعوم من الخلافة إلى مدرسة تاريخية، بينما صار المذهب الأشعري هو خط الدفاع العقائدي عن أهل السنة.

ثالثاً- الشيعةُ الإمامية.. موقفٌ متميز بين الجبر والتفويض والعقل والنقل:

تُعدُّ المدرسة الكلامية الشيعية الإمامية (الاثنا عشرية) من أبرز المدارس التي شاركت بقوة وأسهمت بفعالية عقلية في تزخيم الجدل والحوار الفكري الكلامي، ويمكن القول هنا بوجود خصوصية واضحة كانت تميزها عن المعتزلة والأشاعرة معاً، وهي لا تُصنف ضمن أي منهما، بل تأخذ مساراً خاصاً بها.. وهي أنها تستند في كل فكرها وكلامها إلى تراث أهل البيت عليهم السلام كمرجع أساسي في فهم العقيدة الإسلامية، وما يرتبط بها.

1- العلاقةُ مع المعتزلة.. تأثيرٌ متبادل أم تأثر أحادي؟!

ظلّت العلاقة بين الشيعة والمعتزلة موضوع جدل تاريخي.. بعض المصادر السنية التقليدية، مثل أبي الحسن الأشعري وابن تيمية، تدّعي أن الشيعة تأثروا بالمعتزلة في أصولهم العقدية. لكن الباحثين الشيعة يرفضون هذا الرأي، ويؤكدون أن التأثير كان في الاتجاه المعاكس، أو على الأقل متبادلاً. وهم يدللون على ذلك بأن واصل بن عطاء (مؤسس المعتزلة) كان قد تتلمذ على الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأن عدداً من كبار المعتزلة مثل أبي الهذيل العلاف وأبي الحسين الخياط كانوا على صلة وثيقة بمدرسة أهل البيت. كما أن بعض المفاهيم العقلانية التي اشتهر بها المعتزلة (مثل التنزيه الشديد والعدل الإلهي)، كانت حاضرة في أحاديث الأئمة قبل ظهور المعتزلة كمدرسة منظمة.

طبعاً تزخر المصادر الحديثية الشيعية بنماذج واضحة توثّق هذا السبق، وتُظهر أن هذه المعاني كانت جوهر الخطاب العقدي للأئمة، وليست وليدة جدالات لاحقة مع خصومهم.

ففيما يخص "مبدأ التنزيه"، وهو نفي الكيفية والتجسيم عن الله، نجد نصوصاً صريحة عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، الذي يُعتبر أحد أساتذة واصل بن عطاء. فقد ورد عنه قوله: "ولا يُوصَف بكيف، وكيفَ أصفه بكيفٍ، وهو الذي كيّف الكيف حتى صارَ كيفاً؟.." . ويُستفاد من هذا الكلام أن نفي الكيفية عن الذات الإلهية ليس فكرةً استحدثها المعتزلة، بل هو تعليم إمامي أصيل يتسق مع الروايات المروية عن النبي(ص) وأمير المؤمنين (عليه السلام) التي تؤكد أن الله "معروف بغير كيفية" وأنّ "الكيف مخلوق". هذه النصوص تعتبر دليلاً قوياً للباحثين الشيعة على أن مفهوم التنزيه

العقلاني كانَ راسخاً في مدرسة العترة قبل أنْ يتمكنَ المعتزلةُ من صياغته كمنهج كلامي متكامل.

أما بالنسبة لمبدأ "العدل الإلهي"، وهو الركن الثاني من أركان العقيدة عند الشيعة والمعتزلة معاً، فقد عبّر عنه الأئمة(ع) بصياغات بليغة تتجاوز النظريات الفلسفية. فالإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يُعرّف العدل بقوله: "أمّا العدل فأنْ لا تنسبَ إلى خالقك ما لامك عليه" . هذه العبارة تحمل في طياتها معنى دقيقاً، وهو أن الله منزّه عن الظلم، فكل ما يقع للإنسان من شرّ أو نقمة، أسبابه تعود إلى أفعال البشر وتقصيرهم، ولا يجوز نسبة القبيح إلى الله لأنه العادل الحكيم. هذا المفهوم ذاته هو ما بنى عليه المعتزلة نظريتهم في التحسين والتقبيح العقليين ووجوب اللطف، بينما نجده في المصادر الشيعية متجذراً في أقوال الأئمة. ففي نهج البلاغة، يضع الإمام علي (عليه السلام) العدل كركن أساسي للمعرفة الإلهية عندما يقول: "العدل أن لا تتهمه" . أي أن العدل يقتضي تنزيه الله عن كل ما يلصقه به الجاهلون من ظلم أو جور. كما يمكن تلمّس هذا التيار العقلاني التوحيدي في كلمات الأئمة التي تتناول التوحيد ونفي الصفات الزائدة عن الذات الإلهية، وهي قضايا شغلت المعتزلة أيضاً. فأمير المؤمنين الإمام علي(ع) يصل في خطبه إلى درجة دقيقة من التجريد العقلي عندما يقرر أن "كمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف" . هذا الطرح الذي ينفي الصفات المستقلة عن الذات، ويؤكد على وحدة الذات والصفات، هو جوهر ما ناضل من أجله المعتزلة في باب التوحيد، لكن المصادر الشيعية تُقدّم الإمام علياً (عليه السلام) باعتباره المؤسس الأول لهذا البيان العقلي الدقيق، والذي تفوق به كلام البشر.

ولهذا، حين يعود الباحث والمثقف الشيعي (وحتى غير الشيعي) إلى هذه النصوص، يجد فيها دليلاً واضحاً على أن مدرسة أهل البيت(ع) لم تكن مجرد متلقية أو تابعة للمعتزلة، بل كانت في الواقع المصدر الأساسي لكثير من الأفكار والمفاهيم العقلانية التي ناقشها المتكلمون فيما بعد، سواء في باب التنزيه أو العدل أو التوحيد.. وهم يفسرون العلاقة بين الطرفين على أنها علاقة تأثر تفاعلي متبادل، فمن جهةٍ أولى استفادَ المعتزلة من البيئة الفكرية الخصبة التي أوجدها الأئمة عليهم السلام، ومن

جهة ثانيةٍ استفادَ المتكلمون الشيعة لاحقاً من الأدوات الجدلية والمنهجية التي برع فيها المعتزلة في دفاعهم عن هذه المبادئ نفسها.. وربما ما يعزز هذه الرؤية هو أن المصادر الحديثية الشيعية الأساسية، مثل كتاب "التوحيد" للشيخ الصدوق و"الكافي" للكليني، تشكل أرشيفاً غنياً يؤكد على أن البناء العقدي عند الشيعة قام أصلاً على نصوص الأئمة(ع)، وليس على آراء المتكلمين الآخرين، وإن اتفقت النتائج أحياناً في بعض المسائل.

1- أبرز مواقف الشيعة في المسائل الكلامية:

يتقارب الشيعة الإمامية مع المعتزلة في بعض القضايا الجوهرية، ويختلفون معهم في أخرى، ويتفقون مع الأشاعرة في مسائل ثالثة.. ومن أهم مواقفهم:

أ- العدل الإلهي: يتفق الشيعة مع المعتزلة تماماً في اعتبار العدل أصلاً أساسياً من أصول الدين. وهم يرون أن الله لا يفعل القبيح، ولا يظلم عباده، وأن كل ما يفعله مطابق للحكمة والعدل. هذا الموقف يُعد من أقوى نقاط التقارب بين الطرفين.

ب- حرية الإنسان: هنا يأخذ الشيعة موقفاً متميزاً يُعرف بـ"الأمر بين الأمرين". فهم يرفضون الجبر (الذي يرى أن الله يجبر العباد على أفعالهم)، كما أنهم يرفضون التفويض المطلق (الذي يرى أن الله فوّض الأمر للعبد تماماً كأنه مستقل عن قدرة الله وجبروته). بل يقولون إن الإنسان له قدرة واختيار حقيقي، لكنه في الوقت نفسه محتاج إلى توفيق الله وإرادته. وهذا الموقف الوسط يُعتبر من أدق المواقف الكلامية في تاريخ الفكر الكلامي والفلسفي الإسلامي.

ت- مرتكب الكبيرة: الشيعة يخالفون المعتزلة هنا، ويقولون كالأشاعرة إنه "مؤمن فاسق"، لا يخرج من دائرة الإيمان، وإن كانَ ناقصَ الإيمان.

ث- الشفاعة: يؤكدون على شفاعة النبي الأكرم(ص) والأئمة الأطهار(ع) لأهل الكبائر، خلافاً للمعتزلة الذين يقصرونها على المطيعين.

ج- العقل والنقل: يأخذ الشيعة موقفاً وسطياً من العقل والنقل.. فهم لا يقدمون العقل على النص مطلقاً كالمعتزلة، ولا يغلقون باب العقل كبعض الظاهرية. بل يرونَ أنّ العقلَ أداةٌ أساسية لفهم النص وتأويله، لكنه يحتاج إلى هدى المعصوم.

فالعقل عندهم ضروري لإدراك الحسن والقبح، ووجوب معرفة الله، لكنه لا يستقلّ تماماً عن الوحي والإمام المعصوم(ع).

1- الخصوصية الشيعية.. الإمامة والعصمة في خط أهل البيت(ع):

إن ما يميز الموقف الشيعي أكثر من أي شيء آخر هو عقيدة "الإمامة والعصمة" من حيث ما يلي:

- الإمامةُ عندهم منصب إلهي، وليست مجرد منصب سياسي أو انتخابي.

- الأئمةُ الأطهار معصومون من الخطأ والسهو والذنب، وهم حجج الله تعالى على خلْقِه بعد النبي الكريم(ص).

- إنّ وجود الإمام في كل زمان هو "لطفٌ" إلهي ضروري، لأنه يحفظ الدين من التحريف والتشويه، ويبين معاني النصوص للناس.

- حتى في عصر الغيبة (غيبة الإمام المهدي "عج")، يبقى العلماءُ والمراجعُ امتداداً للإمام، لكنهم غير معصومين.

إنّ هذه النظرية تخففُ كثيراً من حدّة الصراع بين العقل والنقل، لأن المعصوم هو الذي يحدد متى يكون التأويل العقلي مقبولاً، ومتى يكون ظاهر النص هو المراد. وبهذا يصبح العقل والنقل متوافقين تحت إشراف المرجعية المعصومة (مرجعية أئمة أهل البيت عليهم السلام).

كما أن الشيعة يركزون على مفهوم آخر هو "اللطف الإلهي".. وهو يعني أن الله تعالى يرسل بحكمته الأنبياء والأئمة ليهدي الناس، ولا يكتفي بالعقل وحده، لأن العقل البشري محدود، ومعرّض دوماً للخطأ والسهو والنسيان، وعدم تقدير المصالح في بعض الأحيان.

1- أبرز علماء الكلام الشيعة:

ساهم علماء كبار مثل الشيخ المفيد، والشريف المرتضى، والشيخ الطوسي، والعلامة الحلي، وغيرهم من أعلام الإمامية، في صياغة موقف كلامي متوازن ومتميز، شكّل علامة فارقة في تاريخ الفكر الإسلامي. هؤلاء العلماء لم يرفضوا المنهج العقلي الذي برع فيه المعتزلة، بل استفادوا من أدواتهم الجدلية والمنطقية في الدفاع عن العقيدة، خاصة في مسائل التوحيد والعدل والتنزيه.

غير أنهم لم يكونوا مقلدين بشكل أعمى بلا تفكير عقلي، فقد كانوا يشككون وينتقدون المعتزلة بشدة حينما تخالفُ آراؤهم النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام. فالأولوية عندهم كانت دائماً لتراث الأئمة، وكان العقلُ أداةً لفهم النص وتوضيحه، لا بديلاً عنه.

وانطلاقاً من هذا التوازن الدقيق بين النقل والعقل، أنتج هؤلاء العلماء مدرسة كلامية متكاملة، تجمع بين عمق الفلسفة والالتزام بالشريعة، وبين الجرأة العقلية والحفاظ على الهوية الإسلامية الإمامية الأصيلة.

وإلى اليوم لا تزال هذه المدرسة حيةً ومؤثرة ولها حضورها المعرفي العميق؛ وتُدرَّس في الحوزات العلمية الكبرى في النجف وقم ومشهد، وفي أقسام الدراسات الإسلامية في كثير من المعاهد والجامعات والأكاديميات العربية والعالمية. إن وجود كتب مثل "أوائل المقالات" للشيخ المفيد، وكتاب "الذخيرة" للسيد المرتضى، ومؤلفات الطوسي والحلي المتعددة، وكثير من كتابات علم الكلام والفلسفة الكلامية الأخرى، لا تزال تمثل مراجع أساسية للباحثين.. وهذا الإرث يثبت أن الشيعة الإمامية لم تكن تابعة للمعتزلة، بل بنت مشروعاً كلامياً عقدياً أصيلاً، قادراً على التجدد والتفاعل مع تحديات كل عصر.

استنتاج وخلاصة بحثية

إنّ الصراعَ بين المعتزلة والأشاعرة هو واحد من أطول الخصومات الفكرية والكلامية في التاريخ العربي والإسلامي. فقد مثّلت مدرسة المعتزلة صوت العقلانية والعدل والإرادة الحرة، بينما مثلت الأشاعرة صوت النقل والتسليم والخضوع. وقد انتصرت الأشاعرة تاريخياً، لكن ذلك جاء على حساب تراجع نسبي في الروح العقلانية عبر التاريخ، خاصة بعد إلغاء دور الاجتهاد العقلي. أما الشيعة الإمامية فقد حافظوا على توازنٍ خاص، يجمع بعض العقلانية المعتزلية مع التمسك بالنص والمرجعية المعصومة.

إننا نعتقد أنَّ إحياء العقل والروح العقلانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر أصبح ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها، إذا أردنا نهضة حقيقية للأمة. فالتحرر من التفسيرات الجبرية المتشددة التي سيطرت لقرون، والتي أغرقت مجتمعاتنا في مستنقعات الجهل والعصبيات المقيتة والتقليد الأعمى، يُعد الخطوة الأولى نحو الإنقاذ الحيوي المنشود.

ولهذا ينبغي علينا أنْ نعودَ إلى تراثنا الكلامي لنقرأه قراءة نقدية جريئة، نستلهم منه المنهج العقلاني الذي يحترم النص ويأخذ بالسياق التاريخي والاجتماعي في الوقت نفسه. إن مثل هذا الجهد المسؤول قد يفتح الباب واسعاً أمام اجتهاد معاصر يوازن بين الأصالة والتجديد، فيحافظ على هويتنا الإسلامية الأصيلة دون أن يقيدنا في قوالب جامدة، ويُمكّننا من مواجهة تحديات العصر بعقل واعٍ ومستنير ومسؤول.

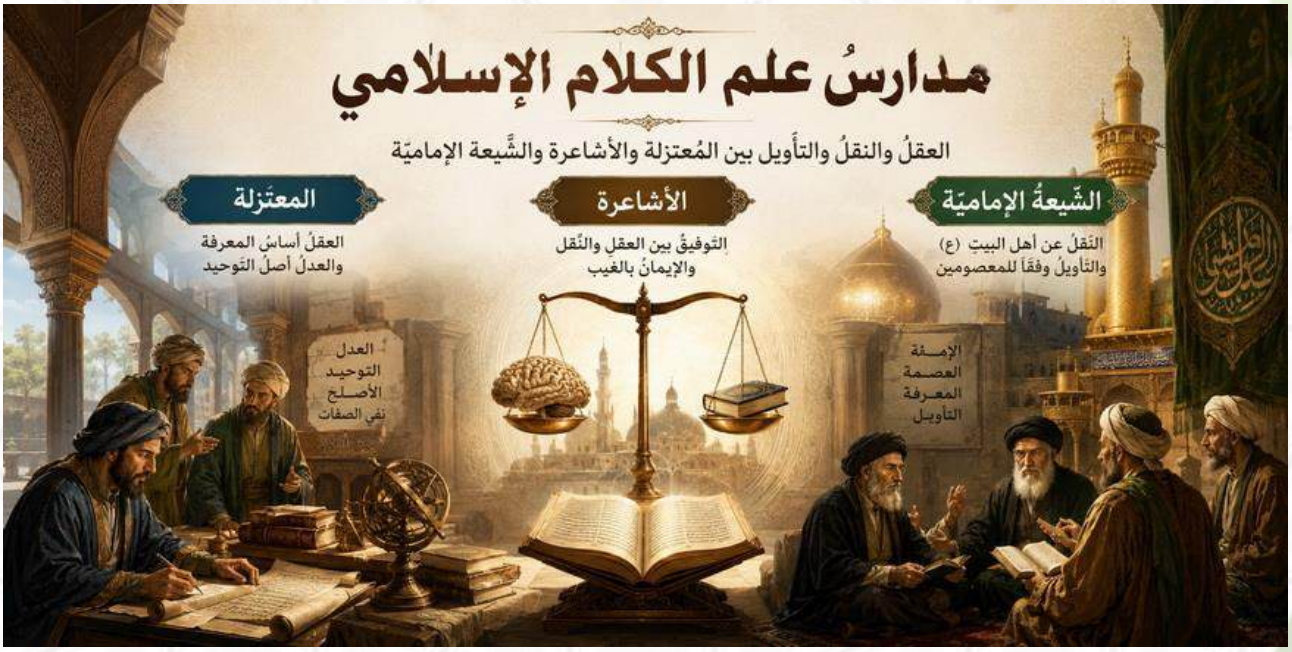

الفكر الصهيوني وثقافة نبذ الآخر

هامش ثقافي

بقلم: غسان عبد الله

"من المعروف أن الخوض في التفاصيل عندما يتعلق الأمر بالثقافة أمر مدمر، أو كما يقول المثل: "إن الشيطان يكمن دائماً في التفاصيل"، ولذا فإن الاتفاق على الكلّي في الثقافة هو فقط من يحفظ لها بقاءها وديمومتها، ويضمن استمرار مسايرتها لمتغيرات التأريخ.."

إن الثقافة في واقعها (تؤنسن)، وهذا هو دورها الذي نعرفه، وهي التي وحدها تقوم به، فهي جلدُ للإنسان وهواؤُه والضوءُ الذي في عينيه، لا تعلَّم، إنها تربية، أي أصالة وانتماء، وتنشئة على خيارات، وعيش لهوية وحرية. غير إن الظروف الحياتية عند بعض البشر حَولت الثقافة عن مسارها الصحيح، من أجل تحقيق أهداف سياسية، وهي أهداف تأتي في إطار نظرية المؤامرة، ما أدى إلى ظهور ما يسمى: (بثقافة الإرهاب أو الانتقام)، وغير ذلك من الأسماء التي هي في ظاهرها تمثل حقاً، وفي باطنها مؤامرة على الغير.

وقفتُ على أمور تأكدتُ خلالها أن ثقافتنا في هذا العصر قد تحوّلت في بعض جزئياتها إلى ثقافة (انتقامية)، تبثُّ خلالها الضغائنَ والأحقادَ وتنشرُ سبلَ الكراهيةِ والفرقة.. وإلى غير ذلك من الأمور التي لن تخفى على كلِّ من يحمل عقلاً ويقف على وسائل التواصل الحديثة، خصوصاً في تويتر - سابقاً - منصة (X).

إن من وراء ذلك أناساً يتخفون وراء الكواليس، وبأسماء وهمية، وبشخصيات غير حقيقية. إن من أهم من يقف وراء هذه الأمور شخصيات تحاول بث السموم بين الناس لتضرب بعضهم بعضاً، فتنشأ الفرقة وتتحقق الأهداف الخفية.

لقد سبق هذا الأمر ما قرأناه في الروايات والقصص اليهودية، حيث وقفوا - وهم شعب يقرأ - على آداب الأمم ومن ضمنها الأدب العربي، حيث وجدوا في الأدب الشعوبي بغيتهم، فأخذوا ما فيه من بذيء القول وقميئه، ونسبوه لأنفسهم في رواياتهم، وأطلقوه على العربي، حيث وصفوه بأقذع الأوصاف: فعيشهم مذموم، ومسكنهم حقير، وطعامهم تعافه النفس، أهل سذاجة، لا يميزون الخبيث من الطيب. ولأن القصة -

خصوصاً القصيرة - من أكثر الأشكال الأدبية لفتاً للانتباه، فهي والرواية أكثر التصاقاً بمشاكل الناس وهمومهم؛ فإن المفكر اليهودي ومنه (كاتب القصة والرواية) قد تمادى في تشوية صورة العربي، بما في ذلك الفلسطيني، وتحقيرها، فهو محتقر ومزدرى، لديه تراث عميق من شهادة التزوير، وتراث أعرق من القتل والإجرام. يقول الكاتب ج.كويهين: إن العربي مخلوق غريب، يرتدي جلباباً ممزقاً، وغطاء قذراً للرأس، تلتف زوجه بثوب ويسير أطفاله حفاة، إنه ليس قذراً فحسب، بل هو أيضاً لص وكذوب وكسول وعدواني، هو من عرب قذرين. وقال يهوديٌّ آخر: إن العرب غير جديرين بملكية الأرض ولا بزراعتها، ويقول عن الشخص الفلسطيني أنه شخص دميم صغير، روحه شريرة مليئة بالغيرة والكراهية، انفعالاته العاطفية مبتذلة، يلهث وراء النقود، لا يمكن أن يكون محل ثقة، ولا يصون كلمته أبداً.

لقد تمادى الكتّاب اليهود في إطلاق الكلمات البذيئة على الشخصية الفلسطينية بلا حدود ولا قيود، غير مبالين، هادفين لغرس الصور البذيئة في ذهن من يقرأ. وهكذا يزرعون الصور في العقول لتتحول مع مرور الأيام إلى كراهية وحقد دفين، ومن ثم تتساوى الكلمة مع قذيفة المدفع لتنفيذ ما يراه المجتمع اليهودي، وهم قوم غضب الله عليهم ولعنهم لا يعيشون إلاّ على بعث هذه الأحقاد، عبر الكلمة، معتمدين في ذلك على ذكرياتهم، تلك التي عاشت وتعيش في كنف الآخر.

إن ثقافة نبذ الآخر راسخة منذ القدم في الفكر الصهيوني، فالصورة العميقة للفلسطينيين في نظر المستوطنين: أنهم كالكائنات الغريبة، يجب ألا تكون أصلاً، أما صورة فلسطين فهي أرض قاحلة لا سكان فيها سوى مجموعة أشخاص من البدائيين.

إن هذا الواقع قد جعل بعض الكتّاب الفلسطينيين يحوِّلون أدبهم إلى أدبِ مواجهة، ولكنه في بعض جزئياته يحمل الألفاظ والألقاب نفسها، على أن الغالب التزام الحديث عن الذات والمفارقة بين اليهود والعرب.

قال نزار قباني: "لا يمكن للكاتب أن يهرب من ريحة البشر، ومن مصافحة البشر، ومن أكل خبز البشر ومن النوم في سرير واحد مع أحزان البشر. إنه في الخطوط الأمامية إذا كان كاتباً حقيقياً".

ثقافة نبذ الآخر راسخة منذ القدم
في الفكر الصهيوني

من أوراق الليل

آخر الكلام

بقلم: غسان عبد الله

كَمْ بُحَّ وجهيَ من هبوبِ الرّيح.. وخانتني الجسورُ.
أحتاجُ جُرحاً في أديمِ النَّار أدفنُ غربتي في دفئِهِ
فَلِمَ الوقوفُ إذا تدلَّى من أصابعيَ السُّقوطُ وكُلُّ ما تحتي يَمُورُ؟!.

للنار أنْ تأتي فما في الرُّوح غيرُ هشيمِ أنفاسِ
وما في الرّيح للظمآنِ مَاءُ
للنار أنْ تأتي وتعصرَ هطلَها في جيبِ أحلامي فترتَاحُ الدِّماءُ.
للنَّار أن تأتي فَتِسْعُ أصَابعٍ أشعلتُ كي أتلمَّسَ الأحلامَ بالباقي..
وأعلمُ أنَّ ما سرّبتُ من كفيَّ شمعٌ من فراشاتٍ يَذوبُ ولا يُضِيءُ..
ما بينَ هطلٍ من دموعيَ أو بكأسي أحتمي بِتَعَرُّجِ الخُطواتِ..
كيما يخطِئَ الحزنُ الوُصولَ إلى دمي فَأراهُ مِنْ جلدي يَجِيءُ..
ما بينَ عشقَينِ استبدَّا بي أنوسُ..
أودُّ لو أصحو وأعرفُ سوف تشربُني الهمومُ..
سيكونُ عرسٌ للظلامِ إذا صحَوتُ
وتنتشي بالرَّقصِ جِنِّيَّاتُ خَيباتي فَتُنجيني تلاواتُ الكتاب..
أودُّ لو أغفو ولا تَصحو بأحلامي الكُلُومُ..
يا أيُّهَا البَردُ المَكينُ ألا انجَلِ قَدْ سَاقَني حُزني إليكَ
فهل أكونُ مُضرَّجاً بالشَّمسِ والبردُ الحصينُ على قبابِ فمي يَحُومُ؟؟
في البدْءِ كانَ الحزنُ نصفَ عبارةٍ وَبِسِرِّهَا تُشْقِيكَ أنصافُ الجُمَلْ..
لا.. لم أكُنْ أنوي احترافَ الحُزنِ حينَ زرعتُ عشباً،
من مشاتلِ عشقي في كُرَّاسِ مَدرستي ودَارَ العُمرُ دورتَهُ،
فضيَّعتُ المشاتلَ في متاهاتِ الجَدَلْ..
في البدءِ كانَ الحزنُ بعضاً من تفاصيلي..

وها يَبدو دَمي متورطاً بالحُزنِ من يُنبوعهِ حتَّى أقاصي النَّزفِ..
يَجفَلُ من تَمَدُّدِ ضحكةٍ ورديَّةٍ في رَاحَتيهْ..
هذا دَمي مرصودُ ليلِ الدَّمع.. شيخُ طريقةِ الأحزانِ سَدَّ لَهُ السُبُلْ..
كَمْ يا تُرَى قمرٌ سَيُخسفُ في سمائيَ..
قبلَ أن أستدرجَ الفجرَ العنيدَ إلى ستائر غُرفتي ويبوحَ شُبَّاكُ بِمَا في اللَّيل يُخْفي..
شفتايَ يابِسَتَانِ.. هل مِنْ واحةٍ تدعو بمزمار الضراعةِ عشبةَ الغَيماتِ؟؟..
مُرِّي يا سَحابةُ في فناءِ دَمي ولو أُكذوبةً فيدايَ باردَتانِ من نيرانِ خَوفي.
مُرِّي على قلبي كَمَا ريحانةٌ ليُضيءَ في خفقاته وردٌ ومسكُ..
لا صَوتَ أوحشُ من صدى المنفى سوى نوحِ اللَّيَالي..
لَنْ يُهيلَ الحلمُ في عتباتِ نومي الفَوضَويِّ سوى المزيدِ مِنَ الضَّجيجِ..
لذا امتثلتُ لحبرِ قافيتي المُرَاوغِ.. ليسَ لي صدرٌ سواهُ..
أدُقُّ أجراسَ الصُّراخِ على غَلائِلِهِ وأشكو..
لَنْ أستعيدَ بغيمةٍ يا قلبُ دفءَ الرُّوحِ..
هذا الوقتُ ثلجٌ.. لا يُسَرِّبُ من أديمِ جليدِهِ باقي الفُصولْ..
آثرتُ ألاَّ أشتهي ثُقباً بجدرانِ الظَّلامِ
فَأيُّ طعمٍ لاستباقِ البَابِ ما دامَ القميصُ مُمَزَّقاً حتَّى الثمالةِ؟..
أيُّ طعمٍ للخروجِ من الجُنونِ إلى الذُّهولْ؟!..
آثرتُ أنْ يَبقى حضوريَ غَارقاً حَدَّ الغيابِ بنهرِ ذاكرتي..
لأُغريَ شمعةَ الماضي الممدَّدِ فوق روحي بالذبولْ.

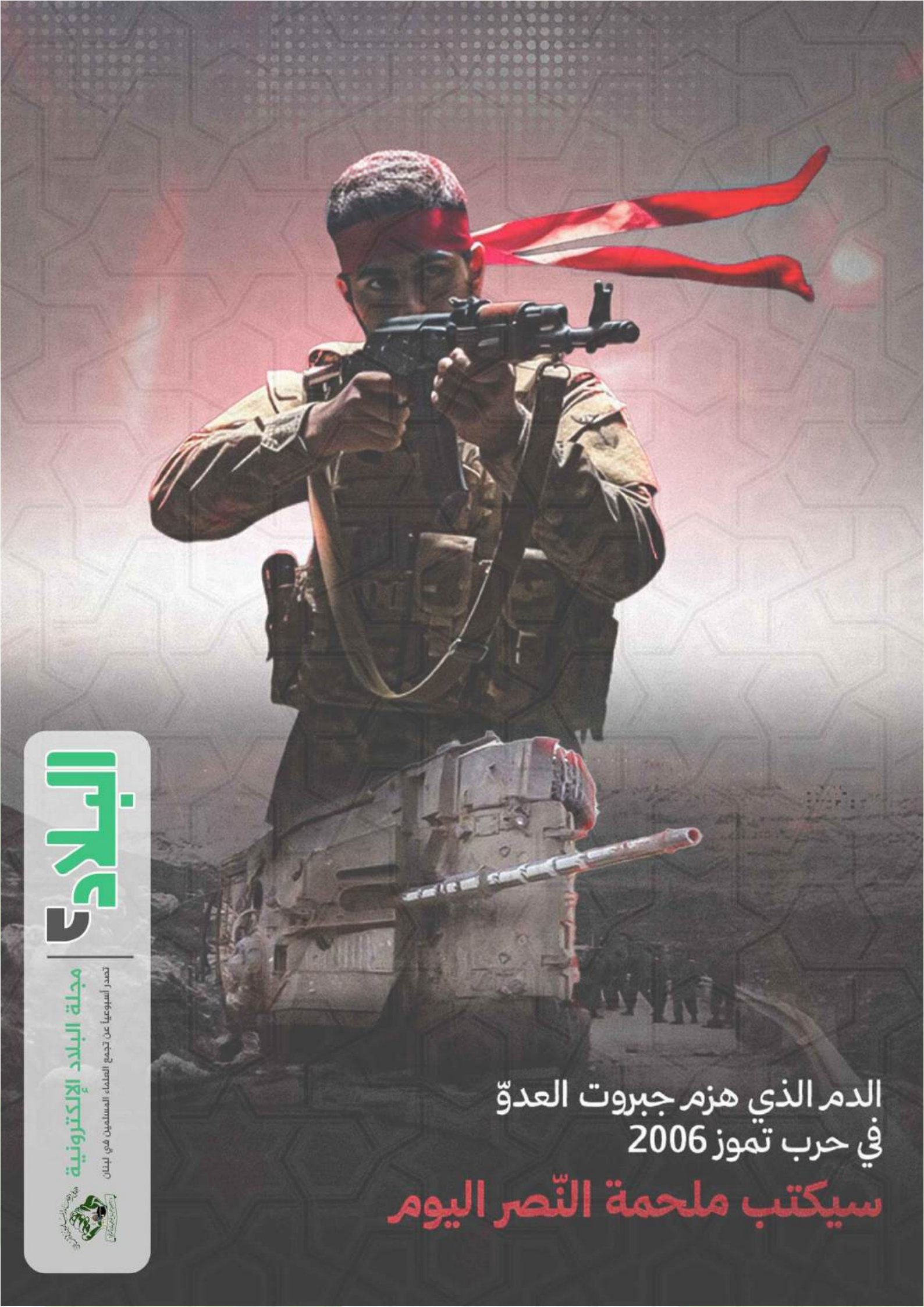

البلاد
مجلة البلاد الإلكترونية
تصدر أسبوعياً عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان

الدم الذي هزم جبروت العدوّ
في حرب تموز 2006

سيكتب ملحمة النّصر اليوم